نصائح عامة
وبليه
رسالة للنساء هامة

تأليف

مستمد الدعاء من الإخوان
عبد الله بن علي القذان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على محمد وآله

وبعد فهذه مواعظ شافية خرجت من رجل ناصح
وقلب شفيق فسأل الله أن يضاعف
له الأجر والثواب وأن ينفع بمواعظه
المتعلمين والمتعلمات،
ومن الجدير بطالب العلم أن يتقن مطالعة
هذا الكتاب ومطالعة الكتابين السابقين
اللذين الفهما الأخ العلامة عبد الله الغديان
حفظه الله وأطال في عمره وبارك له فيه
في عافية وصحة وسلامة،
ولا يفضل من مطالعة هذه الكتب النيرة،
فإن في هذه المواعظ الحكيمة ما يزكي النفوس
ويطهر القلوب فجزاه الله خير الجزاء وأثابه
المثوبة الحسنى إنه قريب مجيب وصلى الله على محمد
وآله وسلم ١٤٤١/٧/١٢هـ

محمد عبد الله عوض

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القرآن أعظم معجزة لأشرف نبي، وهو نبينا ﷺ إذا تأمل فيه الإنسان وجده من بدايته إلى نهايته مشتملاً على الوعظ والتذكير، انظر في سورة الفاتحة كيف ألزمنا ربنا وخالقنا فيها بذكر اسمه في كل صلاة من أجل البركة ومن أجل ترسيخ اسمه في قلوبنا وترداده على ألسنتنا وأردف اسمه في الفاتحة بالحمد والثناء عليه سبحانه وتعالى لينبهنا على نعمه علينا، فله الحمد والمنة.

وبعد الحمد ذكر اسمين من أسمائه عظيمين: الرحمن المتفضل بجلائل النعم، والرحيم بدقائقها وخفيها، ومن جملة نعمه على عباده الصابرين أنه المتولي للجزاء يوم الدين بيَّن ذلك بقوله سبحانه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ عندما يصغي الإنسان المؤمن ويلقي سمعه لمعنى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ فإنها تهون عليه مصائب الدنيا وهمومها، ويسهل عليه ظلم الظالمين، ويرتاح قلبه لتفرد الله بالجزاء يوم القيامة بيقين.

ثم أمرنا أن نقول ونعتقد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فقد وعظنا بهذه الجملة أن العبادة المقبولة ما كانت خالصة لوجه الله، ولما كان الرياء والسمعة وما يخل بالعبادة محيطة بالإنسان أمرنا أن نقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ومعنى: أمرنا أنه ألزمنا بقراءة الفاتحة في كل صلاة من صلواتنا.

فلما أرشدنا -له المنة والحمد- بتوجيه العبادة له وبالاستعانة به عليها دلنا على ما يقع به الفلاح إن نحن خضعنا وتواضعنا وأتينا البيوت من أبوابها وعظمنا ما يرشدنا به قائلاً: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ وعظنا بهذه الآية أن المكلفين بحاجة ماسة للدعاء في دينهم وفي كل أحوالهم وإلا مالت بهم السبل إلى طريق المغضوب عليهم أو الضالين ومن يجري مجراهم من المنافقين والفاسقين، وفي آخر القرآن كذلك انظر وتأمل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾ أرشدنا الله سبحانه بما أرشد به نبيه ﷺ أن نتعوذ برب الناس، الرب: هو المربي المنعم على خلقه، وقوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ هو المالك لرقابهم القابض بنواصيهم، وكل إنسان بحاجة لرفع ضرهم وشرهم، فأمرنا أن نتعوذ به ونلتجئ إليه، وأرشدنا بقوله: ﴿إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾ أنه الذي تأله إليه القلوب، وأنه هو علام الغيوب، فالمتوجه بالطلب إليه حاجاته مقضية، أما الثواب وهو المطلوب فلا كلام في ذلك أنه واقع، وأما المنافع العاجلة فعلى حسب مقتضى الحكمة.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ أرشدنا ربنا له المنة أن نبالغ في الاستعاذة والاستعانة به على ذلك الشر العظيم وهو ما يقع من الشيطان الرجيم ومن أعوانه من الجن والإنس، فعلمنا وتيقنا أن لا نجاة لنا ولا ملازمة لطاعة ربنا إلا بإجبار أنفسنا على استماع

المواعظ في جُلِّ أوقاتنا وأن القرآن مليء من أوله إلى آخره بالمواعظ لعباده، وكذلك سنة رسوله ﷺ؛ فالمصطفى من بداية أمر الرسالة إلى نهايتها يحذر من عذاب الله ويرشد إلى ثوابه وكذلك أمير المؤمنين وسيد الوصيين كلامه من بدايته إلى نهايته وعظ وتذكير.

فلا ينبغي أن نملَّ من المواعظ وإلا سلبنا الألطاف الربانية، وتخبطنا الشيطان الرجيم، وصرنا والعياذ بالله فيمن عناهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك]، قوله: «فاعترفوا بذنبهم» أنه عدم الاستماع لهدي الله ورسوله، وأي فائدة في مقرئ من يقرئ ولا يتعظ لأنه إذا لم يتعظ فلم يزده مقراه إلا غروراً، والغرور كان حاصلاً قبل أن يقرأ.

زادنا الله هداية وتوفيقاً وبصائر في ديننا ودنيانا إنه على ما يشاء قدير، وقد ضمنت هذا الكتاب نصائح عامة ورسالة للنساء هامة وسميته بذلك: **نصائح عامة** ويليه **رسالة للنساء هامة**.

تأليف مستمد الدعاء من الإخوان

عبدالله بن علي صالح القذان

[الكون مع الصادقين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقد أمرنا سبحانه وتعالى وحتم علينا الكون مع الصادقين: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، ولا يمكن معرفة الصادقين إلا بعد معرفة الحق، ومعرفة الحق متوقفة على النظر في الأدلة والبراهين الموصلة إلى معرفة الحق بيقين، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه لا بد لكل مكلف من قائد يتقدمه يوم القيامة وهو له تابع قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١].

فيجب على المكلف أن يمعن بنظره ويجدَّ ويجتهد في معرفة أهل الحق الذين أمر الله بالكون معهم وهذا التكليف بالكون مع الصادقين عام وشامل لكل مكلف من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من زمن الصحابة إلى منقطع التكليف، وكذلك مَن قبلهم من الأمم، وقد دل الدليل بالأخبار المتواترة والحجج المتظافرة أن أهل البيت حجج الله على خلقه إلى يوم الزحام، وأنهم كالنجوم كلما أفل نجم طلع آخر، أولهم أمير المؤمنين وسيد الوصيين ثم مَن بعده من أئمة الهدى ومصابيح الدجى إلى زمننا هذا وإلى يوم الدين، فمن أراد النجاة فلينظر في كتبهم لكي يعرف عقائدهم مثل: (نهج البلاغة) لأمير المؤمنين عليه السلام، و(الصحيفة السجادية) لزين

العابدين، ومثل كتب الإمام الأعظم زيد بن علي، والمبشر به من رسول الله القاسم بن إبراهيم، وكتب حفيده إمام اليمن الميمون الهادي إلى الحق عليه السلام، ولو لم يكن إلا (مقدمة الأحكام)، وكذلك (حقائق المعرفة) للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، و(ينابيع النصيحة) و(العقد الثمين) للأمير الحسين، و(الأساس) للإمام القاسم بن محمد عليه السلام و(شرحه) للشرفي، و(سبيل الرشاد) للسيد العلامة محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد عليه السلام، و(القول السديد) لمولانا قائد الإرشاد من أحيا الله به الدين في هذا الزمان السيد الحجة الحسين بن يحيى رحمه الله رحمة الأبرار، وكذلك كتب العلامة المجتهد قائدنا وقدوتنا السيد الجليل محمد بن عبدالله عوض حفظه الله- (قصد السبيل) و(النظرات) و(المركب النفيس)، وغيرها الكثير والكثير من مؤلفات الأئمة وعلماء أتباعهم من هذه الأمة.

ومن أراد الأدلة الشافية والحجج الكافية في وجوب الكون مع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلوك طريقهم وأنه لا مخرج لمخالفهم فعليه بلوامع الأنوار -وما أدراك ما لوامع الأنوار- للإمام الحجة مولانا وقدوتنا مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي سلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً، فقد حوى هذا السِّفْر العظيم ما يبهر عقول ذوي الألباب، فلسان حال من طالعه يقول: هذه طريق الجنة إلا أن يريد المطلع طريق النار،

وهذا التعبير قاله زين عابدين عصرنا ولقمانه السيد العلامة عبدالعظيم بن حسن بن الحسين بلَّ الله قبره ومن حوله بوابل الرحمة وأسكنهم مراتب العظماء في أعالي الجنة.

فلله المنة العظيمة بأهل بيت الرحمة ومعدن الحكمة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، فالواجب لطالب النجاة أن لا يطلب لنفسه التأويلات ولا ينجرَّ للأهواء المردية والأعذار الباردة ولأمر ما قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً)) فزيادة التاء في قوله: «تمسكتم» تدل على وجوب شدة التمسك وإلا زلت بعديم الهمة في الدين القدم.

وقد مدح الله أصحاب الهمم العالية في الدين في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴿٣٧﴾﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، وغير ذلك كثير.

وما سبب ضلال من ضل من السابقين ومن بعدهم إلا اتباع الأهواء، وإيثار الدنيا على الآخرة، فضلوا وأضلوا، وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتشكى ممن استأثر عليه بقوله: (كأنهم لم يقرأوا قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿٨٣﴾﴾ [القصص]، بلى والله قرأوها.. إلى آخر كلامه عليه السلام).

فالتساهل في الدين وادعاء الكمال ورد نصائح الحوَّل القُلَّب أهل العلم والتقوى واليقين من أقوى أسباب المخالفة للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والعصيان العمد سيف باتر لأنياط قلب الدين بيقين، اسْمَعْ وافْقَهْ قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴿٥﴾﴾ [الصف]، تأمل أيها الناظر في قول كليم الله عليه السلام: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ فعصيان العمد سبب في زيغ القلوب وسلب تنويرها، فليحذر كل طالب للنجاة غاية الحذر ويشغل باله بحديث رسول الله ﷺ: ((الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم)).

فالعالم العامل المخلص على خطر عظيم، والسعيد من اعتبر بغيره.

نعم، يقع الخروج من الطريق المستقيم بسبب من عدة أسباب، منها: الهوى وحب الدنيا كما تقدم. ومنها: الحسد لبعض القادة في الدين، وكثرة الثناء والإقبال من الناس عليه فيدعو ذلك بعض الناس إلى الطعن والتنقيص في عرض من هذا حاله والإغراء به عند من يطيع ذلك الطاعن، ومن البلوى أن بعض الحاسدين يكون مطاعاً عند الكثير، وفي أصحاب رسول الله ﷺ أعظم معتبر.

ومن تلك الأسباب طاعة بعض الزوجات وبعض الأولاد، وكذلك بعض الجلساء وبعض الأصدقاء غير أن المؤمن يكون له من الله سبحانه وتعالى حماية حافظة وألطاف عاصمة ما لم يُتْبِعْ نفسه هواها ويطلب لها التأويلات، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

هذا، وليعلم كل مكلف أنه لا بد له في تكليفه من الابتلاء والتمحيص والاختبار طال الزمن أو قصر، نسأل الله السداد والهداية وحسن الختام، يقول الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت]، ويقول تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وكل ذلك يقع من أجل التمحيص: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران].

فمن أراد السلامة فليشغل نفسه بالخوف من مزالق الردى وليحمل سلاح الإيمان على جميع الأعداء، وذلك بالتضرع إلى الله

والابتهال بالمناجاة والدعاء، فالدعاء سلاح المؤمن.

وكما أن للخذلان أسباباً فكذلك للهداية والتوفيق والسداد والثبات على الحق أسباب، من تلك الأسباب: التواضع لله ولرسوله وللمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]، ومنها: الدعاء كما سبق، والابتهال إلى الله ليلاً ونهاراً ومن صميم القلوب وإظهار الافتقار إلى القوي العزيز، وينبغي للداعي عند بداية الدعاء أن يستشعر قول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقولَه تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقولَه تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

ومن تلك الأسباب: الرضا بعمل الدعاة إلى الله وتعظيمه بالقلب والدعاء لهم والإعانة على حسب الإمكان، في الحديث: ((من رضي عمل قوم أشرك في عملهم))، ((من أحب قوماً حشر معهم)).

ومنها: قضاء حوائج المؤمنين والضعفاء والمساكين، فقضاء حاجة مؤمن تعدل صيام شهر واعتكافه، وإدخال السرور من أوجب المغفرة.

ومن أعظم القرب الداعية إلى ثبات الإنسان على دينه بر الوالدين وصلة الأرحام؛ فإنها سبب وثيق بين العبد وربه، وجالبة لخير الدنيا والآخرة، أما حب آل محمد فهو شرط لازم في إيمان العبد، وبانتفائه ينتفي الإيمان، وهو من أقوى أسباب الثبات

لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أحبنا رجل أهل البيت فزلت به قدم إلا ثبتته أخرى)).

ولا زل من زل وضل من ضل إلا بسبب التهاون بهذا الأصل الأصيل، نسأل الله السلامة من محبطات الأعمال.

ومن أراد السلامة في دينه ودنياه فليكثر من صنائع الخير، يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي عليك بصنائع الخير فإنها تقي مصارع السوء)).

هذا، وعلى المؤمن أن يشغل فكره بعواقب الأمور، وينظر في حاله إذا أقبل عليه ملك الموت وبعد ذلك نقله إلى محلة الأموات وأبلغ العضات، إلى مجاورة عظام في القبور رميمة، لا يتميز فيها ذكر من أنثى، ولا صديق من عدو، ولا قريب من بعيد، وبعد ذلك ما هو أدهى وأمرّ من أهوال يوم الطامة وحشر الخلائق إلى المحشر يوم القيامة.

ومن الأمور المفزعة والحقائق المفجعة: أن جعل الله سبحانه وتعالى نتائج الأعمال في هذه الدنيا خفية فلا نتيجة لعمل عامل في هذه الدنيا إلا عند تجرع الموت وسكراته ومشاهدة ملك الموت ونظراته، نسأل الله السلامة من الخيبة والندامة، بكى جبريل الأمين عليه السلام ومحمد الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم من خوف تلك المواطن العظام، وغشي على أمير المؤمنين كذلك.

فالنظر في هذه الأمور يشغل القلب عن اللهو واللعب في هذه الدنيا، وكذلك النظر فيما اشتمل عليه كتاب الله من أنواع العذاب والخلود الأبدي والحريق السرمدي في قعر النار، وكذلك نصائح أشفق شفيق وأرحم رحيم من البشرية صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين ينبغي التأمل والنظر فيها بحضور قلب وإلقاء سمع، من تلك النصائح: قوله ﷺ: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)) ما أراد بالمحاسبة هنا ﷺ؟ أراد أن ينظر الإنسان ويتأمل في ماضي عمره وفي ما سلف من أيام دهره هل هو راض بالصلاة التي صلاها وما ضمّنها من الوسواس والغفلة عن أذكارها؟ وهل يعامل ربه فيها كمعاملته أبناء جنسه أم لا؟ عند ذلك تتكشف له حقيقة التفريط الداعية إلى توبة نصوح من صميم فؤاده، وبهذه النظرة تنكشف له قلة حيائه من مولاه الذي غذاه بنعمه وأنعم عليه بالجوارح.

ويحق –والله– أن تطول على غفلتنا في صلواتنا حسرتُنا، ويكثر على التساهل فيها بكاؤنا.

ومن تلك المحاسبة التي أرادها رسول الله ﷺ منا النظرُ في حق والدينا، ومعنى ذلك التأمل في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝٢٤﴾ [الإسراء]، فأراد ﷺ لفت النظر إلى هذا التكليف الذي قلَّ من يقارب

الوفاء به فضلاً عن أن يفيَ به، هل أحرقتنا قلوبنا عن التفريط في حق والدينا في ماضي أعمارنا أم نحن عن هذا التفريط والتقصير غافلون؟ وعما يراد بنا في مستقبلنا نائمون؟ كما قال وصي رسول الله ﷺ: ((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)).

ومن تلك المحاسبة التي أرادها منا حبيبنا المصطفى ﷺ لفت النظر إلى دواوين الكلام وما سجلته علينا ملائكة الله الكرام، وقد علمنا وأيقنَّا أنه مزبور في صحائفنا ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]، وقول رسول الله ﷺ لمعاذ: ((وهل يكب الناسَ على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم)).

فهل حسينا بالندم يوماً ما على ما صدر من ألسنتنا من الغيبة والنميمة والشتائم والسباب والكلام الجارح لبعض العباد، مصيبة عمت، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونستغفر الله من كل كلمة أرضينا بها الشيطان وأغضبنا بها خالقنا.

ومن أبواب المحاسبة التي أرادها منا خير البشرية ﷺ: لفت النظر إلى ما وصل إلينا واستلمناه بأيدينا هل من حِلِه تلك الأموال أخذناها وتقصينا في مداخلها، وكذلك في إنفاقها؟ أم الشك حاصل في بعضها؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اغفر لنا مظالم الخلق، وخلص رقابنا من كل حق يلزمنا بين يديك يا أرحم الراحمين.

وهل قتل هماماً رحمه الله رحمة الأبرار إلا محاسبة النفس عندما سمع كلام وصي رسول الله ﷺ فلقد صوبت كلمات الوصي عليه السلام سهامها إلى قلبه فأردته قتيلاً، ويحق له –والله– أن يكون كذلك.

نعم، الشركاء والخصماء إذا وقع النزاع بينهم فكل واحد يبرز ما لديه من البينات والحجج من أجل أن تظهر كلمته وتبرز حجته عند من يتولى فصل الخصومة بينهم وقد سمى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يوم الفصل قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ]، فأراد المصطفى ﷺ بقوله: ((حاسبوا أنفسكم)) أن ينظر كل واحد منا في حجته أمام الخصوم فالخصوم يوم القيامة أَلِدّاء، أولهم الحفظة الكرام الكاتبون عليهم السلام يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق]، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها).

ومن خصوم الإنسان يوم القيامة: سمعه وبصره وجلده، ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [فصلت]، وكذلك أقدام الإنسان: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس].

ومن تلك الخصوم ما يقع بين الأقارب والأباعد بشأن الحقوق والأعراض، نسأل الله السلامة من شدائد ومصائب يوم القيامة.

الكثير من المكلفين يهمل أهله وأولاده ولا يشغل نفسه بشيء من ذلك، وقد خاطبنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، فهل حدثنا نفوسنا يوماً من الأيام كيف المخرج إذا جاء أحد الأهل أو الأولاد يوم القيامة وقد ضل فيقول الولد: جَهَّلَني والدي، وتقول الزوجة: جهَّلَني زوجي، فكيف يكون المخرج والجواب؟

أما المخرج فلا مخرج، وأما الجواب فقولهم والعياذ بالله: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴿١١﴾﴾ [الملك].

فصلوات الله عليك يا صاحب الشريعة السمحة ما أرحمك بأمتك، وما أوضح نصائحك، اللهم اجعل أفضل صلواتك وأزكى بركاتك على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين آمين رب العالمين.

[تعظيم شعائر الله]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

نعم، من تعظيم الله -تقدس وتعالى- تعظيمُ كتابه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]، وقد خص الله سبحانه وتعالى بهذا الكتاب العظيم أشرف نبي من أنبيائه وهو نبينا محمد ﷺ تعظيماً لهذا النبي العظيم، ورحمة لأمته ﷺ، ومعجزة عظمى لخير البشرية إلى منقطع التكليف، غير أن الكثير لا يعرف من كلمة معجزة إلا لفظها حتى أن البعض لا يفرق بين كلام الله وغيره، وقد قال لي أحد الإخوان يوماً إنه يشك في القرآن أنه ليس بقرآن وكلام للرحمن، وأخبرني أنه سأل أحد العلماء فأجابه أن الله تحدى به سائر الناس أن يأتوا بمثله فإذا كان غير قرآن فأت بمثله، وهذا الجواب غير مقنع عندي، فقلت: أخبرني لو أن أحداً من الناس أتاك يوماً من الأيام بقصيدة بليغة تطرب لها نفس السامع لما ضمنها الشاعر من المعاني فقرأها عليك في الصباح فعجبت بها واستراحت لها نفسك، وفي وقت الظهر أقبل إليك ليسمعك تلك القصيدة وإذا به وقت العصر مقبل عليك لأجل قراءتها عليك، فلما دنا الليل أتاك وقال: أريد أن تسمع القصيدة ومن غد كذلك أتاك لأجل قراءتها؟

قال: يمجها سمعي، وأحكم على من يفعل ذلك بالجنون.

قلت: وكم قرأت الفاتحة في صلواتك وسمعت قراءتها من أئمة الصلاة؟ هل تثاقلتها يوماً ما؟ فقال: الآن ثبت عندي أنه قرآن لا شك في ذلك.

قلت: فيجب أن تصدق ما جاء به القرآن من وعد ووعيد وترغيب وتهديد وأوامر ونواه وغير ذلك. هذا معنى ما دار بيني وبينه.

فهذا معنى إعجاز القرآن أنه لا يكل قارئه ولا يمل سامعه، فعلى المؤمن أن يعظم كلام الله سبحانه وتعالى غاية التعظيم وأن يصغي بسمعه لآياته وما تضمنته من المعاني قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة].

فتعظيم كتاب الله تعظيم لله، ولا ينتفع بالقرآن إلا من عظمه وتدبره، فالقرآن كنز المؤمنين ومائدة الله في أرضه للمتقين يغترفون من بحاره ويرتوون من أنهاره، إن مرضت قلوبهم من المصائب والأحزان عالجوها من القرآن بما وعد الله الصابرين، وإن طمحت نفوسهم لما في أيديهم من النعم ذللوها ووبخوها بآيات التخويف وشدائد النقم، الناس في فقر وإن كانوا أغنياء

وهم بالقرآن في غنى وإن كانوا فقراء، وأهل عافية وإن كانوا في بلاء، يطربون بذكر خالقهم وكلام ربهم، إذا قرعت أسماعهم آيات التخويف تحيرت أفكارهم وتاهت حلومهم خوفاً من لقاء الله وإشفاقاً من عذابه، وإذا سمعوا آيات البشائر بالجنان وما أعد الله فيها لأوليائه استراحت لها نفوسهم وتهللت لسماعها وجوههم، يتغذون بوعد خالقهم إذا قرأوا قبوله لتوبة التائبين، ويزيدهم قولُ الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، بصائرَ في مناجاتهم، وقولُه تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، عزائمَ في محاسبة أنفسهم.

يسهرون والناس نيام، قال أمير المؤمنين: (قلوبهم قرحة وإن ضحكوا) وقال: (قد براهم الخوف بري القداح)، وقال: (يحسبهم القوم مرضى وما بالقوم من مرض، ولقد خالطهم أمر عظيم).

فيا أصحاب العقول الزكية والأخلاق المرضية نزهوا نفوسكم من التهاون بكتاب الله، وعضّوا على سماع آياته بالنواجذ، عظموا ما عظم الله، عظموا العلماء العاملين، والأتقياء المخلصين، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿١٩﴾﴾ [الحشر]، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[خشية الله]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، هل بقي شك في بقاء الليل لمن يشاهد الشمس بعينيه؟ هل شيء أوضح من خبر الله في هذه الآية؟

يا طالب العلم، ويا طالب الجنة اعرض نفسك على هذه الآية، هل خشية الله تعم مشاعرك في بعض الأوقات أم لا؟ إن كنت الأول فإن رحمة الله قريب من المحسنين، وإن كنت الثاني فتناولك للعلم كالمتناول للدسومة من أهل السكر والضغط، وهل نفعَ إبليسَ علمُهُ؟ وبلعامَ بن باعوراء لصوقُ الآيات بين دمه ولحمه؟! فالخوف علامة الإيمان ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

ما أعظم جرأة من قرأ العلم ولم يخش الله، استخفوا بحرم الله، محقرين لما عظم الله، ومالوا إلى الدنيا تعظيماً لما حقر الله؛ لأنهم فقدوا الروح للإيمان وهو الخوف وتسلحوا بقاتل الإيمان وهي العظمة.

فالحذر الحذر يا طلبة العلم الشريف، ولنعلم جميعاً أن الفتن كالمطر ينتظره البدو وأصحاب الزرائع فتارة يكون المطر رحمة وأحياناً يكون نقمة، كذلك الفتن هي نعمة في حق المستبصرين ونقمة ووبال وهلاك في حق المتخاذلين.

نعم، يكون الإنسان عالماً بعقله فترى عظمة الله قد ملأت قلبه، يخشى الله في السر والعلن، حريصاً على الحقوق، وصولاً

للأرحام، تخشع لآيات الله رقبته، ويصفرّ لزواجر القرآن وجهه، فمن كان هذا حاله فقد زاده الله هدىً إلى هداه، وهو من كرم الله بمحل لأجل تقواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

فعلى طالب النجاة أن يفكر في عواقب الأمور، يفكر أين عاقبة أمره، وكذلك في ماضي عمره يحدث نفسه دائماً هل رب السموات علي راض أم غاضب؟ هل عاقبة أمري السلامة أم الحسرة والندامة؟ ماذا أُواجَه به وأنا أتجرع سكرات الموت؟ كيف إذا برزت سيئاتي في آخر لحظة من حياتي؟ وبعد ذلك ما هو أدهى وأمر.

وعلى هذه الطريقة جرت طريقة المتقين، فالخائف من الله عالم بالله على قدر خشيته وخوفه، وكيف لا يخاف الإنسان ربه، وقد علم بسطوات الله في تلك الأمم السالفة والقرون الغابرة وبعدها إلى جهنم وبئس المصير؟

إن أصحاب العقول الزكية يفكرون في عواقبِ أمورهم فتهون عليهم مصائب الدنيا وفي دقةِ الحساب فتسمح لذّاتُها، قولُ الله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، يحتِّم على الإنسان البحث عن أسباب الخوف كي يتم له اسم الإيمان، سواء بتدبر القرآن والتفهم لأحاديث المصطفى ﷺ أم بسماع المواعظ في مجالس الذكر وتلقي المعاشر في مدارس العلم.

لقد عظم المصطفى ﷺ مجالس الذكر بقوله: ((إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا)) قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: ((مجالس الذكر)) ساوى ﷺ بين مجالس الذكر وبين الروضة في مسجده ﷺ قال: ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة))؛ لأن الإنسان محتاج للذكر لقلبه كحاجته للغذاء لبدنه، فلا تعظم المكاسب وتتم الرغائب إلا بالصبر ومجاهدة النفس وإرغامها والبحث والطلب لما يقوي عزائمها، أحياناً بالعمل كما سبق وأمثاله، وحيناً بالتفكر في سرعة زوال الدنيا وعاقبة أمرها من الضعف والبلاء ومجاورة الموتى والانقطاع عن الدنيا عاقبتها حفرة في محل الغرباء والمفارقة لجميع الأهل والأولاد والأصدقاء.

ومما يقوي عزائم النفس وينعش القلوب ويوقظها من منامها ما قد وقعنا فيه من الزلات ووقعنا فيه من القبائح والخطيئات، وكيف المخرج من ذلك؟ ويحق –والله– أن تحار في ذلك أفكارنا.

ولنعلم أن التوبة التي يصحبها ندم هي التوبة المقبولة التي أمرنا الله بها ودَلَّنا عليها رسوله ﷺ.

ومما يقوي عزيمة المرء الخوف من الهلكة في بقية العمر وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله السداد. اللهم اقبل توبتنا، وسددنا في بقية أعمارنا، واجبر مصيبتنا فيما فرطنا فيه في ماضي أعمارنا، إنا لله وإنا إليه راجعون، وصلى الله وسلم على خيرة خلقه أجمعين وعلى أهل بيته الطاهرين.

[بر الوالدين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

سبحان الله ما أرحمه بعباده، «وقضى ربك» بمعنى: حكم وحتم وألزم، جمع الله بين شيئين عظيمين بعدما قضى وحكم، بين توحيده -جلت عظمته- وبين الإحسان إلى الوالدين مطلقاً سواء في شبابهما أو شيخوختهما غير أن هناك خصوصية في حقهما في حال كبرهما أو أحدهما لأن الكبر يردهما إلى الضعف والمسكنة.

الشيخوخة تنقض قواهما فلا تَحَمُّل لهما ولا صبر، ويزيد الطين بلَّة إذا وقعت الجفوة من أحد الأبناء وتذكرا ما كانا يوليانه من العناية في صغره، كانا يؤثرانه على أنفسهما في المأكل والمشرب واللباس والنوم، يتألمان بألمه ويسعدان بسروره وعافيته، الأم لا تستقذر أوساخه بل تؤثر نظافته على وجبتها، وتبدأ بإرضاعه قبل شربتها، إذا نام قرت عينها وإن سهرت، وإذا شبع استراحت نفسها وإن جاعت، والأب يلقى المتاعب لتحصيل ما تحتاج إليه أسرته، إذا عاد إلى بيته بعد أعماله الشاقة سأل: أين الصغير من أولاده، لا يستطيع الصبر عن رؤيته، يتناسى تعب يومه إذا أقبل إليه مبتسماً، ويحس أنه أسعد رجل.

من أجل ذلك وغيره غلظ الله الحكم في حق الوالدين لا سيما في الكبر: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ كناية عن التضجر في وجوههما بل يجب عليك العكس من ذلك، يجب عليك أن تظهر الفرح بعافيتهما وتظهر لهما أنك سعيد براحتهما، وأنك مقصر في حقهما، وإن مَلَتِ الهموم قلبك وشغلت الغموم فكرك.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ لا تقهرهما بكلمة تجرح قلبيهما أو قلب أحدهما فإذا فعلت ذلك فلا تأمن أن تصيبك لعنة الله ونقمته وتفارقك ألطاف الله ورحمته؛ لأنك قابلت كتابه بالرد، وقد قرعت سمعك هذه الآية مراراً وتكراراً، وما حل بإبليس لعنه الله موعظة وعبرة لأولي الألباب.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴿٢٣﴾﴾ القول الكريم: لبيه يا والدي، لبيه يا والدتي، وما شاكله من الكلام الطيب الذي يزيد العلاقة وثوقاً وحب القلوب لصوقاً.

إن دون الوفاء بحقوق الله وحقوق الوالدين خرط القتاد لولا رحمة الله، فأين التائبون؟

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أظهر لهما ضعفك أمام أوامرهما وحط نفسك بين أيديهما أنهما كبيران وأنت الصغير وعزيزان وأنت الذليل وغنيان بما توليهما وأنت الفقير، إن كنت تريد الرحمات من الله المتتابعة والألطاف المانعة والعيشة الهنيئة والسعادة المرضية فطاعة الوالدين جالبة لكل خير في الدنيا

والآخرة، قال تعالى فيما حكى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴿٣٢﴾﴾ [مريم].

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴿٢٤﴾﴾ استمر لهما بالدعاء وافعل لهما ما يكون سبباً في رضوان الله عليهما من الدعاء والقرآن والصدقات الجارية وغير الجارية، واطلب لهما الدعاء من أولياء الله وافرح بما توليهما من الإحسان، واصبر على جفوة الإخوة والأخوات من أولادهما، واعلم أن الله يراك ويعلم ضميرك وما توسوس به نفسك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴿٦٤﴾﴾ [مريم]. فالسعيد –والذي رفع السموات السبع وبسط الأرض– من كرس جهوده في طاعة والديه.

ورد: أن دعاء الوالد لولده كدعوة النبي لأمته، وأن ما بين العاق لوالديه والنار إلا خروج نفسه من جسده، وكذلك البار ما بينه وبين الجنة إلا خروج روحه، ومن عق والديه أو أحدهما وقد ماتا أو أحدهما فلتطل على ذلك العقوق حسرته ويصل أرحامهما ويتصدق إلى أرواحهما ويتوب إلى الله توبة من صميم قلبه كلما ذكرهما، فعسى أن تناله رحمة الله وتصل إلى قلبه هداية الله، ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

نستغفر الله من التقصير في حق والدينا وأرحامنا ونستغفره من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الرضا بحكم الله]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول ربنا جلت عظمته: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، من الذي ألح على الله حتى أقسم؟ وما هو السبب في قسمه؟ هل غَضَبُ النبي ﷺ على أحد الغريمين لتمرده ورفضه حكم رسول الله ﷺ أم هو حريق دم المظلوم الذي لا يجد ناصراً ولا في يده حيلة لاستيفاء حقه؟ أم هو من الله تعظيم للحق ووجوب قبوله، وأن الراد له خارج من ربقة الإسلام ومن دائرة الإيمان؟ أم هو كل ما ذكر؟

والعجب كل العجب أن بعض الغرماء يطلب حكم الله من غريمه فإذا حُكِمَ عليه لغريمه بحكم تمرد وعتى ورفض حكم الله وطغى، وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور]، صدق الله العظيم.

نعم، يحصل بسبب المشاجرة والخصام عداوة في القلب وتقاطع بين الأرحام والأقارب ويقع بسبب ذلك ظلم من بعض الناس الأقوياء على الضعفاء فأمر الله بالتحكيم لقطع الخلاف غير أنه أوجب على الخصمين أو الخصوم الرضا بحكم الله والتسليم لقضائه مؤكداً ذلك بقوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

فيجب على كل واحد من الخصوم أن لا يحمل العداوة والضغينة على خصمه بعد الحكم سواء كان المحكوم عليه أم له فتلك آداب الإسلام التي يصون الإنسان معها دينه، ويثبت على يقينه، فالتسامح من شيم الصالحين، وقد دعا رسول الله ﷺ لمن كان سمحاً في بيعه وشرائه ومعاملاته بالرحمة.

فالقرآن قائد لا يُضِل وشاهد لا ينسى، وصادق لا يكذب، فالسعيد من جعله قائده، والخوف من العذاب والخلود في النار سائقه، فلا تُنالُ الرغائب إلا بتعب القلوب والأبدان والتغافل عن هفوات الآخرين والنسيان، وقد مدح الله الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، شُتِم رسول الله ﷺ فصبر، وظُلِم فغفر، وكان لا يغضب لنفسه قط عليه وآله أزكى الصلوات والتسليم وسلم تسليماً كثيراً.

[التحذير من الدنيا]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي جعل ما في هذه الدنيا عبراً واعظة ومرآة صافية، من نظر فيها بعين بصيرته جادت له بعطائها وسقته من صافي زلالها، ولا يتم ذلك لأحد إلا إذا رأى صفوها كدراً، وحلوها مراً، وعافيتها بلاءً، وأنها كما قال وصي رسول الله ﷺ: (كالحية مسها ليِّن، وسمها قاتل)، لقد سقت عشاقها سماً ناقعاً، مات الكثير منهم وهم أحياء والبقية بين الموت والحياة إلا أنهم أقرب إلى الموت من حياتهم، مال بهم هواؤها إلى أن ما فيها من الحطام هو العافية وغيره البلاء والحصول عليه هي السعادة وفقده شقاء.

لقد نسينا أو تناسينا مصارع آباءنا وأرحامنا ومن قد عرفناهم، نسينا مراقدهم تلك الموحشة التي مزقت فيها أوصالهم وأكلت فيها لحومهم، وتهششت لطول البقاء فيها عظامهم.

وأعجب من ذلك تعامينا وتغافلُنا عن أوصافهم وأحوالهم، ولقد وصفنا -والله- صاحب الشريعة السمحة ﷺ بهذا عندما قال: ((وكأن الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم)).

فعلى الإنسان أن ينظر نظر المستبصر لا نظر المتحير، ينظر في أحوال من عرفهم وكيف كانت حياتهم وما آل أمرهم إليه، كانوا أحياء فصاروا أمواتاً، وكانوا أعزاء وهم اليوم أذلاء؛ لأنهم

تعززوا بدنيا فانية، قتلتهم وعشقت غيرهم، كم رأوا من العبر فلم يعتبروا، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى عاقبة من رضي بالدنيا بدلاً عن الآخرة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس]، وبقوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود]، وبقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝١٨﴾ [الإسراء]، صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الرزق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى]، لقد كشف الله عن السر في تقليل الرزق على عباده في هذه الآية الكريمة فأين العقول السليمة التي تولي كتاب الله اهتماماً ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد].

وهل أهلك الناسَ إلا المغرياتُ؟ وما نشاهده اليوم أقوى دليل، إذا كان الرزاق المخبر لنا بالسر في تقليل الرزق على عباده، وذلك أن لا يقعوا في البغي وهو الظلم للغير ولأنفسهم فالواجب أن يتحول الحزن عند المؤمنين من قلة ذات اليد إلى فرح، والغم إلى السرور، وعدم الرضا إلى الرضا.

وكنت أعجب من كلمة قالها جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عندما سأل رجلاً من خراسان قائلاً: كيف أنتم يا أهل خراسان؟ فأجابه الرجل قائلاً: إذا أُعْطِينا أكلنا وإذا مُنِعْنَا صبرنا، فقال الصادق عليه السلام: «كذلك كلاب المدينة» فقال الرجل: وأنتم يا ابن رسول الله؟ قال: «إذا أعطينا آثرنا، وإذا مُنِعْنَا شكرنا» بهذا أو بمعناه، فلله در قرناء القرآن وتراجمته في كل زمان وما خصهم الله بالذكر في كل صلاة إلا لشأن!! صدق سلام الله عليه ورضوانه، ينبغي أن نشكر الله على قلة ذات اليد إذا كانت رحمة من الله على عباده الصالحين؛ لأن القليل مع التقوى كثير؛ لأن الله يحط في

ذلك القليل البركة.

وعلى المؤمن أن يعالج نفسه بذكر الموت وما وراءه من السؤال عن كل صغير وكبير قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة]، ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف]، ويقول النبي ﷺ: ((ما قل وكفى خير مما كثر وألهى)).

والذي ينبغي أن تطول حسرة كل مؤمن عليه هو التقصير في ماضي عمره، وقد خاطبنا ربنا بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر]، نسأل الله السداد وحسن الخاتمة إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الحاجة إلى الدعاء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]:

جمع الله في هذه الآية بين عطائه الجزيل وبين تهديده المخيف الصريح فما هو السر في ذلك.

نعم، لا يكاد تطرق سَمْعَ أحدٍ موعظةٌ إلا ويسمع من الواعظ النصيحة بالدعاء ويَعْقُبُ النصيحةَ من الواعظ الاستدلالُ على فضل الدعاء بهذه الآية غير أن كثيراً من الأسماع تمجها، ولسان حال أحدهم يقول: كم قد سمعنا هذه النصيحة وهذه الآية، حتى إن بعض المذنبين الذين قد استحقوا من الله الخزي والنكال يصرح ويقول: ما ينفع الدعاء، وأي فائدة في الدعاء، ونحو ذلك من الجحود بآيات الله، والرد لما جاء به محمد المصطفى ﷺ من عند الله.

هناك نافذة على بعض أسرار هذه الآية من خلالها يظهر لنا شيء من الحكمة والسر، غير أن الأمر كما قال أحكم الحاكمين ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

انظر أيها المستبصر المتتبع لأسباب النجاة لو أن أحداً من الأغنياء الخيِّرين دعا أحداً من أقاربه بمسمع ومرأى منك وفي حضرتك فلما حظر خاطبه قائلاً: يا أخي أو يا ابن أخي أنت

محتاج لبعض الحاجات الضرورية مثل الأكل والكسوة والعلاج والدفاء في الشتاء وغير ذلك، أنت وأولادك وبقية أسرتك فأنا أرجو منك أن تخبرني بتلك الحاجات وأنت متكرم وما عليك إلا أن تخاطبني بذلك، وعليَّ أن أوصل تلك الحاجات إليك؛ لأني غني بما أعطاني الله وأنت فقير، وهو يعلم بصدق هذا المتفضل ولم يعهد منه قبل هذا الكلام إلا الوفاء وكم قد أعطاه تفضلاً من غير طلب، فلما سمع ذلك الخطاب وذلك التكرم أعرض عنه ولم يلق له بالاً، وقام بعد ذلك يشكو فقره وحالته على من لقي ويقول: لا أملك كثيراً ولا قليلاً وأنا في أحوج الحاجات إلى القوت الضروري، وكل من سمع شكواه يتظلم له عند ذلك الرجل الذي وقع الكلام والوعد من الغني بحضرته فيقول له: اتركوه ولا تصدقوه، وقد عرض له قريبه الوفي الصادق كل ما يحتاج إليه من الضروريات بحضرتي ولم يقبل منه وفَضَّلَ التشكيَ وإظهارَ الفقر والمسكنة عند الناس من غير حاجة منه لذلك؛ فإن الجميع يحكمون عليه بالسفه وقلة الحياء، وأنه يستحق الفقر والخزي وما هو أعظم من ذلك، وأنه فقير متكبر رَدَّ الجميل وتَرَفَّعَ عن قبول حاجته من المحسن، فهو يستحق الإهانة والتهديد.

فما بالك أيها الناظر بوعد أقدر القادرين وأصدق الصادقين بهذه الآية التي وعد بها مَنْ قَبِلَ النصيحة، وكم الإنسان محتاج إليه من العافية له ولبقية أسرته، والستر كذلك من الفضائح وبيان خُبْرِهِ،

كم هو محتاج إليه من المعيشة وحاجاته موجودة عند خالق الأشياء، كم هو محتاج إليه من الحفظ له ولأسرته ولما في يديه، كذلك الأمان من الظلمة واللصوص والمتشفين، هو محتاج لحفظ الولد في بطن أمه، محتاج لتيسير خروجه عند الولادة، محتاج لحفظ أمه من النزيف كي لا تموت، هو محتاج حاجة ملحة لتوفيق الله وتسديده وهدايته وحسن خاتمته، هو محتاج لصلاح أولاده وبناته كي لا يقعوا في مستنقع الزنا والخمور والحشيش ومصاحبة الأنذال، هو محتاج أن لا يفضحوه ويهتكوا ستره بين المجتمع، هو محتاج لعافية زوجته وبقائها حية على أولادها وقد رأى من تُوفِّيَت زوجتُهُ وتركت له عدة أطفال ولا عنده قدرة على الزواج.

نعم، الله عالم بحماقة الإنسان وقلة حيائه من خالقه وأنه يعصيه بنعمه فأراد عز وجل أن تبلغ الحجة منتهاها حين أطلق لعبده جميع مطالبه وأنها بيد أقدر القادرين وكم قد رأى هذا العبد من نعم تغدو عليه وتروح فإن هو قَبِل عَرْض الله عليه فإنه يثاب عليه ويعطى مطالبه ويتولاه بعنايته وألطافه، وإن هو أعرض عن عرض من خلقه ورباه وكاد أن يكذب بوعد خالقه ومولاه فهو متكبر متبختر ملوم مأثوم يستحق الخزي والعار والخلود في النار وبئس المصير.

هذا، وليعلم طالب النجاة والهداية من مولاه أن المطالب ونيل الرغائب لا تتم إلا بعد التعب والعناء والجهد مدة من الزمن طويلة مع صلاح النوايا فلا يحس طالب النجاة بذوق

الدعاء ولا يتعاظمه بقلبه إلا بالمداومة ولا سيما في ليله وفي صباحه، ولأمرٍ ما سمى تاركه مستكبراً بعد أن سماه عبادة، وتهدد على تركه بالإهانة والإذلال والخلود في النار لأن الله هو الذي عنده نيل الرغائب، وقد أطلق لعبده السؤال في كل المطالب فلم يقبل هذا العرض الإلهي إلا القليل الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]، ومن عناهم بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠].

نعم، فإنك ترى الْخِيَرَةَ يتلذذون بالدعاء والمناجاة كما يتلذذ الرضيع بلبن أمه غير أنهم تعبوا حتى زُرِعَ الهدى والنور واليقين من قلوبهم.

وإليك مثال المقبل على ربه بالدعاء وعكسه مثل الاثنين كرجلين دخلا سوقاً من الأسواق وهما من أصحاب البيع والشراء أحدهما في مجلبة الأغنام يبيع ويشتري والآخر في سوق التمور والزبيب، فلما مرا بالمجلبة اختلفت آراءهما فالبياع المشتري في الغنم ينظر لكل كبش سمين ويحدد بقلبه ثمنه بشوق وتلهف لامتلاكه، بعكس صاحبه فلا هم له إلا الخروج من المجلبة لأجل رائحة الدمن وجلة انتباهه ألا تنشب رجله في حبل من الحبال فيتردى، فلما وصلا بين التمر والزبيب تغيرت الآراء وحصل عكس ما كان في مجلبة الغنم فهذا يقيِّم أسعار الزبيب والتمر وينظر يميناً وشمالاً لكل جديد، وصاحبه يحس بالتعب ويود الخروج من ذلك السوق لعدم الفائدة.

كذلك من جعل طاعة الله ومناجاته بضاعته الثمينة فإنه يفرح بالدعوة تخرج من لسانه ويتذوقها كما يتذوق الصائم لقم إفطاره وعلى هذا يقاس المستمعون للمواعظ والتالون لكتاب الله، فالمتوجه بقلبه الراغب في إرضاء ربه يحس بوجدانه ذوق العبادة.

ولما كان الدعاء وحضور مجالس الذكر وطلب العلم وقراءة القرآن عبادة لله وطاعة في دار التكليف فشأنها شأن غيرها بحيث أن القلوب تكون عليها مقبلة تارة وأخرى كارهة كما قال أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين: (إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وإِدْبَاراً فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ وإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ) غير أن المستمع للمواعظ في مجالس الذكر وكذلك صاحب الرواتب من الأدعية يثاب في حال سروره بالدعاء والمواعظ وفي حال تضجره ولا فوز إلا لمن صَبَّرَ نفسه وأكرهها، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

وسنذكر قطرة من مطرة وحصاةمن جبل وشعرة من جلد مما الإنسان محتاج إليه، من ذلك بقاء العافية له ولزوجته وأولاده ومن يعنيه أمره؛ لأن المريض من الأسرة ينغص عليهم لذتهم ويكدر صفوهم، فهم مضطرون لمعالجته ودفع المال من أجل صحته وسلامته فكيف لا يدعو الإنسان ربه من صميم فؤاده أن لا يفقدهم العافية وأن يديمها عليهم، وهم محتاجون لجمع كلمتهم وصلاح ذات بينهم.

بعض الأسر يسهرون لياليهم من شقاق بعض أولادهم أو بعض نسائهم ويكرهون ما في أيديهم لأجل ما هم فيه من الصياح والنياح والتشكي قد أعياهم أمر ذلك الولد أو تلك المرأة فكيف لا يكونون محتاجين للدعاء والابتهال كي يكفيهم الله شر ذلك الخلاف.

بعض الناس مديون للآخرين فالهم حليف قلبه في ليله والذل شعاره في نهاره، وكيف لا يكون محتاجاً للدعاء أن يكفيه الدين وهمه، بعض الناس يزوج بنته التقية الرحيمة ويوم من الأيام اتضح له أن زوجها مصاب بمرض الأعصاب الذي لا يأمن معه أن يقتلها وقد وقع من ذلك الزوج التهديد بالقتل بالسلاح فقلب والدها ووالدتها محروقان خائفان على ابنتهما، فكيف يقصر الإنسان في دعاء خالقه أن يصرف عن أولاده وبناته هذه البلية.

وبعض الناس يتسلط عليه في بيته كذلك مريض من مجتمعه أو سارق على ما في يديه أو عدو لله يريد هتك عرضه في حرمه أو يغري بالمحرمات ولده أو بالفراق لزوجته فكيف يقصر الإنسان في دعاء خالقه ومولاه؟

نعم، المتدين يشاهد ناساً خرجوا من طريق الحق بعد البقاء في هذه الطريق زمناً طويلاً فكيف لا يخاف على نفسه الهلكة في بقية عمره، وكم رأى من غني افتقر وعزيز ذل وآمن أصبح حليف بيته يتجرع الهم والذل من قتيل ابتلي به أو عدو تسلط

عليه وما أكثر الحاجات لجلب المنافع أو دفع المضار، فكيف نقصر في دعاء مولانا وخالقنا وقد أوعدنا بالإجابة لجميع مطالبنا وما يدفع الله بالدعاء من الشرور المغيبات أكثر بكثير مما علمنا بدفعه بسبب دعائنا.

اللهم اجعلنا من الذين يدعونك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[بقية العمر لا ثمن له]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول حبيبنا رسول الله ﷺ: ((بقية العمر لا ثمن له))، فلسان حال كل يوم جديد يقول: يا ابن آدم أنا قطعة من الزمن من طلوع الفجر إلى دخول المغرب أنا عَرْضٌ لك من أرحم الراحمين بمثابة صحيفة بيضاء عرضها لك مَن عنده بذل الرغائب ونيل المطالب وأنت مكلف من رب العالمين، وبعد غروب شمسي لن تراني إلا يوم القيامة، فإن أحسنت في الصحبة وعملت فيَّ الصالحات فأنا لك شاهد ولعدوك جاحد، وإن أسأت فسوف تطول لتفريطك فيّ حسرتُك، وتدحض حجتك، فراجع حسابك فيما سبقني من الأيام وشمر ساعدك فيما يخلفني من الزمان، وتذكر قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿١٨﴾﴾ [الحشر].

الحجج تقرع الأسماع كالحروب الطاحنة ولكن الأمر كما قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وصدق الله سبحانه وتعالى فيما حكى عن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ذلك هو الخسران المبين ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴿١١﴾﴾ [الملك].

مات الأقارب والأباعد والأعداء والأصدقاء ونحن خلفهم كما قال أمير المؤمنين: (نرتع فيما لفظوا، وتتقاطع الأرحام بسبب ما خلفوا) فالزواجر السمعية كلَّت وملَّت، أما القلبية فليس لها وساع في قلوبنا لأنها قد ملئت بمشاكل وشواغل الدنيا ملئت بأمور لا تسمن ولا تغني فلا مخرج إلا بإقحام هذه النفوس الأمارة بالسوء فيما ينفعها وسوقها بسوط تهديدات الله في كتابه وإرغامها على التفكر في عواقب الأمور من الضعف والبلاء والموت والحساب وطول المقام في المحشر بين أعداء الدين ومن عسى أن ينجو من عذاب رب العالمين فذلك أقرب حل لرجوع الأنفس عن غيها وعن تماديها في غفلتها لأنها بالسوء أمارة وإلى كل شر جرَّارة، نسأل الله السلامة من عذاب الله، ونسأل الله التوفيق والسداد وحسن الخاتمة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[التوبة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول المصطفى ﷺ: ((كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون)) من البلوى والتمحيص ما يقع من الأخطاء من بعض المؤمنين ومن بعض طلبة العلم الشريف فيكون ذلك ابتلاء له ولمن يعلم بذلك.

نعم، بعض من يعلم بذلك قد يكون في قلبه غِلٌّ على صاحب الخطأ فيحمله ذلك على نشره وعلى التشفي من صاحب الخطأ مما يؤدي إلى إثم ذلك الشخص بسبب التحامل ونشر المثالب وكان الواجب عليه إذا كان ولا بد أن ينصحه سراً نصيحة مشفق، وليحذر من الشماتة والتشفي ففي الحديث: ((لا تشمت بأخيك فيعافيه الله ويبتليك)) وقد يؤدي ذلك التشفي إلى خذلان وتعنت صاحب الخطيئة فيكون المتشفي عوناً له في خذلانه.

فعلى كل مؤمن مراجعة حساب نفسه فيما قد وقع وصدر منه، وليعلم أن عواقب ذلك وخيمة إن لم يبادر بالتوبة النصوح، عواقب ذلك إما خذلان في دينه أو نكبة في دنياه لتماديه في غيه وشغله بما لا يعنيه، ولو نظر في نفسه وفي نعم الله عليه أولاً وفيما ستر الله عليه من القبائح لانشغل بنفسه، ولكن الحسد والغرور وتزكية النفس المذمومة حمله على التعرض لغضب الله.

هذا، ولنعلم جميعاً أن القهر والأذى إذا وقعا مع العمد بمثابة خسارة مالية باهضة تأكل تعب شهور وسنوات أو مرض يفقد

صاحبه كذلك سعادة الشهور والسنوات، كذلك القهر والأذى وإغراء الآخرين تأكل جميع الحسنات فلا يغتر أحد بكثرة العمل فرب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، نسأل الله السلامة من كل شر وحسن الخاتمة.

وكذلك من وقع منه خطيئة هي بلية له هل تَحْمِلُه شماتة الشامتين على الخروج من الدين ورد السيئة بالسيئة أم على الصبر والاسترجاع فيكون بذلك الصبر من الظافرين.

نعم، لا يخلو إنسان ممن يحقد عليه غير أن المتقين لا يخرجهم غضبهم عن الحق ولا يدخلهم رضاهم في باطل، فالواجب بل هو من أعظم الواجبات أن يعالج الإنسان هذه الخليقة بجهده وإحضار قلب وأن يعلم أن الأصل في التزكية وعدمها رب العالمين وأعظم الكيد وأشده هلكة ما يقع من الأذكياء أصحاب الوجاهة في الدين فوالله الذي لا إله سواه إن الكيد منهم أضر على نفوسهم ودينهم من السموم القاتلة لأنهم قابلوا نعمة الله التي هي الرفعة والوجاهة بالرد وكان الواجب عليهم أن يتلقوا قول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]- بالقبول قولاً وعملاً.

فالمسارعة بالتوبة والندم على التشفي وعلى أذى الغير من أهم الواجبات وكذلك الاعتذار ممن قد وصله أذى وعلم أنه من ذلك الشخص ولا يغضي الإنسان عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣].

أما صاحب الخطأ فعليه أن يتقي الله ولا تحمله شماتة الشامتين على الخروج من الحق، وليعلم أن باب الله مفتوح للتائبين ورحمة الله قريبة من النادمين، وكم لحق العلماء العاملين من الأذى من بعض أهل الدين كم عانا قائد الإرشاد العلامة الطاهر الحسين بن يحيى رحمه الله رحمة الأبرار وكذلك من رفع الله ذكره وأنعم الله علينا به العلامة المتواضع لله محمد بن عبدالله عوض وأين بلغ الحال بأعداء هذين الشخصين، إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الوصية بالنساء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول الله -تعالى شأنه وعَظُمَ سلطانه-: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، لقد بعث رسول الله ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، بعث ﷺ بدين قويم، من مقومات هذا الدين العدالة والإنصاف من القوي للضعيف وحسن الخلق والرحمة للضعفاء والمساكين؛ لأن الظلم قبيح وأقبحه ظلم المستضعفين.

بعض العادات في بلائدنا كادت أن تكون عند بعض الناس ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً، من تلك العادات أن بعض الآباء يزوج أولاده الواحد تلو الآخر ويجمع في بيت واحد خمس أسر فإذا كان هناك واحدة من نساء أولاده أو اثنتين أو ثلاث لهن تحمل على الأعمال وحَمْل الأثقال من العمل في المزرعة وفي البيت والقيام بالغنم والبقرة وفي جني الثمار وقت الموسم فهن من يستحققن التقدير والاحترام والثناء المطلق، وإذا كان هناك بعض نساء الأولاد مسكينة لا تستطيع القيام بأي عمل في المزرعة ولا القيام بالغنم أو البقرة وإنما عملها محدود على المطبخ والقيام بأولادها ونظافة بيتها فإن الجميع يتنكرون لها ولو كانت صائمة نهارها قائمة ليلها، فلا يكبرون لها قدراً، ويستخفون بها ويهضمونها في بعض حقوقها، ويتكلمون فيها عند القريب والبعيد والصديق والعدو، فهي دائماً مقهورة حتى زوجها تلحقه

مصيبتها عند الوالدين؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

المصطفى ﷺ يوصي بالضعيفين النساء وما ملكت أيمانكم، والله سبحانه وتعالى لم يثن على الأقوياء ويحقر الضعفاء من أجل الأعمال، ولم يثن إلا على المؤمنين أصحاب التقوى والدين واليقين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، فالكريم عند الله من الرجال والنساء هو صاحب التقوى والدين، فلنحذر غضب الله ونقمته، ولنعلم أن ذلك الاستخفاف والقهر والإهانة هو الظلم بعينه وأن الظالم ملعون في كتاب الله، وأن الرجل يكتب جباراً ولو لم يملك إلا أهله، وأن الواجب على الأب والأم أن يعملا العكس من ذلك وهي الرحمة والرفق بالمسكينة العاجزة عن الأعمال الشاقة وبأولادِها، فالوالدان هما اللذان يستطيعان رفع الظلم عن الضعيف في الأسرة، وهذا هو الواجب عليهما بقول النبي ﷺ: ((كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته)).

وينبغي لكل صاحب عقل وصاحبة عقل إذا كان الجميع يلتمسون رضا الله والدار الآخرة أن يسعى كل واحد منهم لخليقة يرضا بها ربنا سبحانه ورسوله ﷺ وهي أن يجعل كل واحد من الأسرة صديقاً يرحمك بسبب إحسانك إليه وسواء كان صغيراً أو كبيراً، ذكراً أم أنثى، فهذه صفة المتقين الذين عناهم الله بقوله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]، فالدعاء من المستضعفين هو الدعاء الذي لا يرد، والراحم للمساكين متأس برسول الله ﷺ.

نعم، الحاذق والعاقل هو الذي يتدبر العواقب، ويغوص بفطنته إلى مقامات الحساب في يوم القيامة وإلى إنصاف المستضعفين يوم الطامة، صدق رسول الله ﷺ: ((ما عصي الله بأعظم من الجهل))، وكيف تستطيع أن تعالج من يدعي الكمال وهو يرى طلبة العلم والذاهبين إلى مجالس الذكر جهالاً، فهذا الصنف وأمثاله هم الذين عناهم الله بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

اللهم إنا نعوذ بك من الظلم لأنفسنا ولخلقك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[في التعاون على البر والتقوى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢]، وبعد:

من البر بل هو من عظيم البر أن تنصح والدتك أو زوجتك أن تبر أرحامها وتتعاون معهم في خلاص ذممهم إذا كانوا لها واصلين وإليها محسنين، وذلك فيما عندهم من الحقوق.

بعض النساء لو تطالب أرحامها في حقوقها مع قلته عند بعض الناس لم تحصل على كثير فائدة، ولو أَبْرَتْهُم وسامحتهم لعظم ذلك في أعينهم وحصلت على الثواب الجزيل والثناء الجميل، فالناصح في هذا الشأن محسن والله يحب المحسنين.

من أراد أن يعلم حسن وعظم هذه الخليقة فليجعل نفسه محل من عليه حقوق لأرحامه وأن صهره أو بزيَّه طلب من والدته أو من زوجته السماح لك فيما عندك لوالدته أو لزوجته فإنك بهذا الصنيع تعزهم وتحترمهم وتقدرهم غاية التقدير؛ لأنهم أحسنوا إليك بخلاص ذمتك من تلك الحقوق فإذا عرفت ذلك فكن سباقاً وانصح والدتك أن تسامح أهلها لا سيما إذا كانوا إليها محسنين وهي لا تطلب منهم كثيراً ولا قليلاً وكذلك زوجتك ولا تخاف من الحاجة إلى ما في أيديهم، فالله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((صلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام)).

فكن مفتاح سداد بين أهلك وبين أرحامهم والأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى.

واعلم أن التوكل على الله من الخصال الحميدة من مكملات الدين يقول النبي ﷺ: ((لن يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون أوثق بما عند الله مما في يده))، ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق].

وإنما نَصَحْتُ بالبراء والسمحان وطرح الحقوق لأن ذلك صلة للرحم وسبب في التراحم والألفة وصدقة جارية، ومن صنائع الخير التي تقي مصارع السوء وقد يتأسى بمن فَعَلَتْ ذلك غيرها فتكون مشاركة في ثواب من تأست بها، وهذا الصنيع إدخال سرور وإدخال السرور من أوجب المغفرة، وقضاء حاجة مهمة وقضاء حاجة مؤمن تعدل صيام شهر واعتكافه.

ولنصغ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝﴾ [الشورى]، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [آل عمران]، ولا تتم لأحد المآرب ويحوز الرغائب إلا بالصبر والبذل والعطاء في طاعة الله ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝﴾ [فصلت]، لذلك قال أمير المؤمنين: (عند الصباح يحمد القوم السرى)، وقال: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل).

اللهم اجعل في قلوبنا عزائم في طاعتك، وجنب أعمالنا الصالحة من المحبطات يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الاستغفار]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح]:

القائل هو نبي الله نوح عليه السلام الذي لقي من العناء والتعب على مدى ألف سنة إلا خمسين عاماً ما لا يُقدَّر قدره، كان قومه يسخرون به وبمن معه ويستخفون بهم، وهو يدعوهم ليلاً ونهاراً كما حكى لنا ذلك ربنا سبحانه وتعالى في سورة نوح عليه السلام، يحذرهم من عذاب الله وينذرهم بطشه ويعدهم إن هم أطاعوه وقبلوا نصحه بحياة سعيدة وعيشة هنية قال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح]، يغفر الذنوب جميعاً وإن عظمت وكبرت، ما أجل وأعظم نعم الله على المكلفين بقبول التوبة دع ما سواها، والتوبة هي الرجوع عن الغي، هي الإقبال على الله بالندم مع الاستغفار والعزم على ترك العودة إلى المعاصي.

وأردف تلك النعمة وهي قبول التوبة بنعم أخر لا أحد غير الله يستطيع أن يأتي بها منها المطر الذي هو راحة لكل كائن حي، وقوله: «مدراراً» معناه: دائمة الإدرار. «ويمددكم بأموال» ذهب وفضة، «وبنين» أولاد ذكور، «ويجعل لكم جنات» بساتين فيها من جميع أنواع الأثمار وأصناف الحبوب، «ويجعل لكم أنهاراً» من المياه مطردة، فإذا كانت هذه المذكورات من كبار النعم فما بالك بصغارها.

فمن أراد خير الدارين فعليه بالاستغفار ليلاً ونهاراً عليه أن يتذكر سيئ أفعاله التي لم يعاجله الله بالعقوبة من أجلها ولم يفضحه الله بسببها فيتوب إلى ربه منها ومن أمثالها فالندم على التفريط علامة المصلحين وطريقة أصحاب التقوى واليقين، الندم على ما مضى طهور لصحائف التائبين وأقوى سبب يدخلك في رحمة أرحم الراحمين.

انظر في ثناء الله على أهل مناجاته في ظلم الليالي قائلاً عز وجل: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران]، فمن أراد القرب من الله فليستغفر من أراد الوفرة في المال فليكثر من الاستغفار، ومن يريد أولاداً صالحين فعليه بالاستغفار، وأفضل الاستغفار ما صحبه ندم لأنك تذكرت ذنوباً كنت ناسيها أو نعماً أنت مقصر في شكرها وإنما تؤتى البيوت من أبوابها.

نعم، التوبة مع الندم وتذكر قلة الشكر هي التوبة النصوح التي طلبها ربنا -جلت عظمته- من عباده: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، سبحان الله العظيم ما ضمن كتابه من المنافع العاجلة والآجلة، أما العاجلة فقد بَيَّن لنا أسباب الرزق بمثل هذه الآية وكذلك أسباب الخروج من الهموم والشواغل يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]. وبين لنا أقوى أسباب بقاء النعم وذلك حين دلنا على شكره قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، وكذلك العلاج الناجح للألفة وجمع الشمل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت]، وكم اشتمل عليه كتاب الله من التفاصيل وقد جمع الحكيم كل مصلحة دينية ودنيوية في ما به أمرنا وأنعم علينا من قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، فله المنة والحمد على عطائه الجزيل وله الحمد على كرمه الجميل، وعلى طالب النجاة الساعي في مرضاة خالقه ومولاه أن يغنم بقية عمره في هذه الحياة ما دامت الحسنات في متناول يديه فمتى شاء حصل عليها وقادها إلى صحيفة حسناته في ليله أو في نهاره وذلك في دار التكليف والابتلاء وعلى طالب النجاة أن يحس بالفارق بين كسب الحسنات في هذه الدنيا وبين الحصول عليها بعد الممات في محلة الأموات ومبلغ العضات.

اللهم وفقنا وغنمنا بقية العمر في طاعتك واجبر مصيبتنا فيما قد فات من أعمارنا يا أرحم الراحمين ويا خير المسؤولين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله هداة الأمة وسفينة النجاة إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، تأمل يا طالب النجاة في هذه الآية الكريمة ورددها على سمعك وأمعن فيها بنظر قلبك.

رب العالمين -جلت عظمته- وسيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وعلى آله، الرب عز وجل يأمر نبيه، ونبيه يتوجه بالخطاب إلى أمته، بماذا أمر الله المصطفى؟ أمره أن يتقاضى من أمته الذين أنقذهم من ظلام الكفر والجهل أن لا يقلوا حياءهم على أهل بيت نبيهم، أن لا يعادوهم إرضاءً للشيطان وإخوانه وإغضاباً لله ورسوله.

نعم، لما كانت الفرصة سانحة في ذلك الحين عندما جاءوا بشيء من المال لرسول الله ﷺ مكافأة على إحسانه ورداً للجميل بقطرة مقابل بحر لجي، لم يطلب منهم رسول الله ﷺ قليلاً ولا كثيراً فأمره من يعلم السر وأخفى، من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، من يعلم الماضي والحاضر والمستقبل أن يخاطبهم بما أمره به رب العالمين، وهو أن يقول: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فمن هنا علمنا وتيقنا يقيناً لا شك فيه ولا امتراء أن الآمر بحب قرابة رسول الله ﷺ هو الله لا رسوله، فالرادُّ لهذا

الأمر الرباني رادٌّ لأمر الله، والراد لأمر الله كافر بالله سبحانه وتعالى.

فالمتشيع الحقيقي هو الذي يمتثل أمر الله ويثبت عليه لا من يتبع نفسه هواها، نسأل الله الثبات.

ترى بعض الناس يرعد ويبرق في حق آل محمد حتى إنك تحس من نفسك بالتقصير، يمدح كبيرهم في وقته غاية المدح ويتشيع في من يهواه من علمائهم وما هي إلا أيام وقد ذهبت تلك المدائح أدراج الرياح، وليته اكتفى بذلك، ولكنه عاداهم وتولى عدوهم، يؤيد من تنقَّصهم، ويثني عليه، وهل رأينا أحداً رد على من شتم سفينة النجاة ومعدن الرسالة حجج الله في كل زمان ومكان، ويتنقصهم ويشتم صغيرهم وكبيرهم في خطبة كاملة ويستخف بأولهم وآخرهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فعليك يا محب أهل بيت رسول الله ﷺ أن تعلم وتعتقد أن الله هو الذي أمرك بهذا التكليف الذي قلَّ من يتحمله، وليعلم كل من يداهن ويوالي أعداءهم أنه لآل رسول الله معاد وإن أظهر حبهم وتصنَّع بولائهم، وليعلم أن اليوم دنيا عمل ولا حساب، وغداً آخرة حساب ولا عمل، ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر].

فأنا أنصح إخواني المؤمنين أن يحذروا مصائد النصب وتقرير إخوان الشياطين الذين تخالف أقوالهم أفعالهم.

في الحديث النبوي: ((لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة)) وليعلم كل مكلف أنه لا بد من لقاءٍ بينه وبين رسول الله، وأنه سائله عن تلك الأجرة، يقول ﷺ: ((أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، إني سائلكم غداً ومحف في المسألة))، فليُعِدَّ كل مكلف الجواب في يوم الحساب، نسأل الله السداد وحسن الخاتمة، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[طمأنينة القلب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على من أوتي جوامع الكلم وعلى آله الطاهرين، يقول حبيبنا المصطفى ﷺ: ((الحق طمأنينة، والباطل ريبة))، ويقول ﷺ: ((استفت قلبك وإن أفتاك المفتون)).

نعم، القلب هو الذي يمنحك النصيحة إن استنصحته وتركت التشاعيب، سبحان واهب الألسن والطباع، سئل مولانا وحجة زماننا حفظه الله وشفاه وعافاه سيدي محمد عبدالله عوض عمن يُؤتم به في الصلاة؟ فأجاب بكلمة من جوامع جده النبي وحكم أبيه الوصي قائلاً: «من ترضاه لك يوم القيامة قائداً فصلِّ خلفه»، حكمة ملأ صداها الآفاق، ويطرب لجوهرها الصافي جميع العشاق، ومنها اقتبسنا الكثير من الحكم في النصائح للإخوان، ومن أسرار الله فيه وفي نجوم كل زمان الجوابات المقنعة على غوامض الأسئلة، سألته مستفسراً يوماً من الأيام عن العلاقة بين حيتان البحر وهوام البر وبين طلبة العلم عندما قال النبي ﷺ في تمام الحديث الدال على فضل طلبة العلم: ((وإنه ليستغفر لطالب العلم من في السموات ومن في الأرض حتى حيتان البحر وهوام البر))، فقال حفظه الله: لولا طلبة العلم لأتى أهل الأرض ما يوعدون وعمت المصيبة في البر والبحر. بهذا أو معناه.

وسألته حفظه الله ونحن ذلك الحين في مدرسة آل العامري عن معنى قول الله تقدست أسماؤه: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]، فأجابني: لفضل وشرف ومكانة الحب في الله والبغض في الله كأنه سبحانه خصهم بأرواح تختلف عن أرواح بقية الخلق.

صلوات الله عليكم يا أهل هذا البيت، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:٣٤]، فلا يلتمس الطيب إلا من معدنه.

نعم، دعاني لما تقدم أنَّا تذاكرنا في مجلس ذكر كنا مجتمعين فيه عن وفرة الحسنات في دار الابتلاء والاختبار وقلَّتها في القبور؛ لأن الطرق سُدّت بين أصحاب القبور وبين كسبها إلا ما كان من ولد يدعو أو علم ينتفع به أو صدقة جارية.

وتذاكرنا حول الْمَلَل الذي يحصل أحياناً لما كانت طاعة الله في هذه الدنيا لا سيما الواجبات تكليفاً من ربنا -جلت عظمته- فإنه لا بد فيها بعض الأحيان من التعب والْمَلَلِ، مثلاً مجالس الذكر لما كان فضلها وثوابها عظيم وقد سماها خير البشرية ﷺ رياض الجنة فلا بد أن يحصل لواحد يوماً من الأيام ملل وضجر فقلت للحاضرين: على كل واحد أن يفهم ما هو المقصود من المجيء إلى محل المواعظ ومجالس الذكر ومدارس العلم؟ هل المقصود راحة القلب وراحة البال؟ أم المقصود طلب رضا رب العالمين؟ وإذا أردت أن تعرف فضل ذهابك إلى مجالس الذكر وحلقات العلم فاعرض على نفسك آخر حضور بحيث لو دنا منك الموت

وخُيِّرت بين وضع هذا الحضور في صحيفتك أم حذفه منها؟

فقال الجميع أو أكثرهم: لا بل يريد كل واحد أن يكتب في صحيفته، وما ألذه، وما أعظم الخسارة إن حذف منها، وهو في فراق من الدنيا وإقبال إلى الآخرة.

عند ذلك علمنا أن الخير الكثير والفضل الكبير فيما استثقلته النفوس، وأنه لا بد من الصبر على الطاعة ومجاهدة النفس، وإن كان الأمر كما قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه صلوات رب العالمين: (ما من طاعة إلا في كره).

فالحاذق اللبيب هو الذي يمعن بنظره في قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((بقية العمر لا ثمن له))- فحاوَلَ جاهداً أن يغنم بقية أيامه في مرضاة الله وطاعته، وفكر كثيراً في حاجته الماسة إذا وضع في قبره للحسنات وتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو قيل لأهل المقابر: من تغبطون؟ لقالوا: أهل المساجد في مساجدهم..)) الحديث، وقول الوصي عليه السلام: (لو أُذِن للأموات بالنطق لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى).

نسأل الله العظيم التوفيق والسداد، وحسن الخاتمة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الحث على اغتنام شهر رمضان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي فاضل بين الكثير من مخلوقاته حكمة من اللطيف الخبير، فضل الجمعة على بقية الأسبوع، وفضل شهر رمضان على سائر الشهور، لقد أكرم الله هذه الأمة بهذا الشهر الكريم وأعطاهم من الخير فيه ما لم يعط غيرهم من سائر الأمم، شهر يفتح الله فيه أبواب الرحمة، ويرسل على عباده في هذا الشهر عظيم المغفرة، وفي آخر أيامه تعتق رقابهم من النار، تقيد فيه مردة الشياطين من أوله إلى آخره، وتفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، من صامه إيماناً واحتساباً رجع يوم عيده مغفوراً له، وكم ورد فيه من الآثار فلا يفرط فيه إلا محروم.

تختلف حسناته عن بقية الشهور، فالحسنة فيه بسبعين حسنة، والصدقة فيه مضاعفة، فالسعيد من عرف فضله، وشمر في مرضاة ربه.

نعم، الإقبال على الله بالقلب في أي عمل هو الروح الإيماني ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، لما كان شهر رمضان أفضل الشهور لياليه أفضل الليالي وأيامه أفضل الأيام أنزل الله فيه كتابه القرآن العظيم على خير نبي ﷺ أنزله الله في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر؛ تكريماً لهذه الأمة وتشريفاً لخير خلقه ﷺ.

يجد الإنسان ببديهته في هذا الشهر الكريم فوارق ، من تلك الفوارق أن الناس من أول يوم يشعرون براحة نفسية وطمأنينة ترتاح لها قلوبهم حتى الضعفاء والمساكين يحل في قلوبهم الغنى بدل الفقر والسرور والراحة بدل الهم، كل صائم من أول يوم يشعر بسعادة تزداد تلك السعادة شيئاً فشيئاً كالمريض إذا كتب الله له العافية بعد البلاء الشديد.

((أوله رحمة)) سبحان الكريم لأن العباد أقبلوا على ربهم وقمعوا آراءهم وأهواءهم المتشعبة بصيامه، وفي دخول أوسطه أسرار ربانية تذكروا تفريطهم فتابوا فغفرت ذنوبهم، يتذكرون كل يوم جديداً من المساوئ فيندمون غاية الندم، فلم تأت العشر الأواخر إلا وقد قبل ربنا -جلت عظمته- توبتهم وأوجب لهم فيها عتقاً من عذابه وأماناً من ناره، ذلك لمن استمر على توبته وترك التمرد والعصيان وجد واجتهد في محاربة هواه والشيطان وشكر نعمة الله العظيمة بهذا الشهر، أما إذا كان من القوم الذين قال في شأنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((بئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان)) فلا فوز برضوان الله ولا نجاة من عذاب الله.

هذا، وليعلم الغافل والمفرط أن الخسارة باهظة قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)، أما المفرط في أيام ولياليِ شهر رمضان الكريم فيصدق عليه أنه ميت الأحياء، ولو لم يكن التفريط إلا في ساعة من ساعاته.

نعم، بعض الناس لا يفرق بين نور ولا ظلام ولا عافية ولا بلاء ولا ذكر ولا.... لا فرق عنده بين رمضان وغيره إلا في نقص الأعمال؛ لأن الصيام شغله حتى وقع السياب في مزرعته أو بيعه وشرائه شبيه من يلبث على والده في حال مرضه يشكو على كل زائر أن والدهم شغلهم بمرضه وأنهم أهملوا حقهم وتركوا -من أجل مرض والدهم- مصالحَهَم، كذلك بعض المتغافلين عن فضل شهر رمضان إذا حدثوه بفضل العبادة في هذا الشهر الكريم وأن الله فرض صيامه والمصطفى ﷺ سن قيامه، وأن الناس يجتمعون في المساجد يتدارسون القرآن ويستمعون لتفاسيره أجاب عليهم: أولئك ليس معهم شغل ولا عمل إلا السمرات والتخازين!! لو فعلنا مثلهم لأهملنا دنيانا وضيعنا مصالحنا، والدين يسر!!

نعم، هذه العقائد نتيجة الجهل والابتعاد عن العلماء وعن مدارس العلم ومجالس الذكر، نسأل الله السلامة من الحسرة والندامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[بعض محاسن الأخلاق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده: (احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك)، وعندما أجاب ثلاثة من العلماء على الْحَجَّاج حين سألهم عن القدر فأجابه كل واحد منهم بجواب أمير المؤمنين قائلاً: لا أعرف إلا ما قاله علي بن أبي طالب، فلما انتهى عند الآخر قال: قاتلهم الله لقد أخذوا الجواب من عين صافية.

وكان جواب أحدهم: لا أعرف إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (أتظن الذي نهاك دهاك، إنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذاك). وقال الثاني: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (أتظن أن الذي فتح لك الطريق ألزم عليك المضيق). وقال الآخر: (إذا كانت المعصية حتماً كانت العقوبة ظلماً)، فقال الحجاج: قاتلهم الله لقد أخذوها من عين صافية.

انظر فيما اشتملت عليه هذه الجمل الشافية أولها: (احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة): **نعم**، الإنسان محل الخطأ والنسيان ويحصل بين الإخوان من النسب وكذلك الإخوان في الدين ما يقع بسببه التقاطع والتدابر ومن البلية أنك

ترى بعض الإخوان قد تنكر لك ولا تعلم ما هو السبب فتكون في شأنه متحيراً وتود أنك تدفع مبلغاً من المال لإزالة ذلك التنكر وأن المياه تعود إلى مجاريها.

فمن أخذ علاج هذا المرض القاتل من نصيحة سيد الوصيين فقد أخذه من عين صافية؛ لأن خسارة الإخوان هي الخسارة، وكسب ودهم هي التجارة، وإلا لما بالغ عليه السلام في وصيته لسيد شباب أهل الجنة وريحانة نبي هذه الأمة.

قوله عليه السلام: (احمل نفسك): أجْهِدْها واجبرها وأرغمها على صلة القاطع من الإخوان.

و(عند صدوده على اللطف والمقاربة) شبيه الدابة إذا هربت من مكانها، وأفلت من يدك خطامها، فلا حيلة إلا التلطف والمقاربة لإمساكها.

قوله: (وعند جموده على البذل) فالإحسان يصيرك في عينه أميراً لا سيما إذا تكرر فلا بد أن يعود يوماً إلى رشده ويصحو من غفلته ويندم ويعتذر من جفوته.

قوله عليه السلام: (وعند تباعده على الدنو) نعم، هو يبعِّد المسافة وأنت تقربها.

ثم قال عليه السلام: (وعند شدته على اللين) تقابل سيئته بالتي هي أحسن.

قوله: (وعند جرمه على العذر) تأول له واطلب له المعاذير من نفسك واعلم أنك في جميع ذلك من المحسنين وأن ثوابك على هذه المعاملة هو الثواب.

ثم ختم نصيحته لولده في هذا الشأن بقوله عليه السلام: (حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك) سبحان الله وأين نجد هذا الصنف في زماننا هذا، لقد جمعت هذه الدرر مدائح الله لأوليائه في القرآن من الصبر ودفع السيئة بالتي هي أحسن، وكذلك كظم الغيظ والعفو عن الناس والتواضع وكل خصلة يمدح عليها صاحبها، سلام الله عليك يا أمير المؤمنين.

عندما تسمع مثل هذا الكلام يعود إليك طرفك كليلاً وتقول: أين قائد الإرشاد الراحل رحمه الله أو نائبه والحجة في زماننا حفظه الله، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

يؤخذ من كلام سيد الوصيين وجوبُ الاهتمام بشأن الإخوان وأن للأخوة شأنَها العظيم ولا تتم المآرب في هذا الشأن إلا لمن صَبَرَ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة]، وكظم الغيظ قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وتَوَاضَع لإخوانه المؤمنين قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]، وقابل الإساءة بالإحسان قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

اللهم اجمع شمل المؤمنين وارزقنا ودهم يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[التواضع والحب لأولياء الله]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حكمة لأمير المؤمنين عليه السلام: (زهدك في راغب فيك نقصان حظ، ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس):

سلام الله عليك يا سيد الوصيين كلامك يتجدد بتجدد الأزمان، وكأنك حي تَعِظُ الأحياء في كل زمان.

نعم، الدعاة إلى الله المجدون في إنقاذ الناس من الهلكة يتحببون ويتوددون إلى الناس من أجل إنقاذهم من عذاب الله الشديد فلو عقلوا هذه الحكمة العلوية والسبيكة الذهبية لأجابوا الدعاة إلى الله، وحصلوا على كل مآربهم، واتسقت لهم الأمور في دينهم ودنياهم، وقادهم دعاة الدين إلى كل خير، ولكن الناس توجهوا بأهوائهم المختلفة وآراهم المتفاوتة إلى دنيا أذَلَّتْهم وهم أعزاء واستعبدتهم وهم أحرار فمنحتهم فقراً مُنْسِياً، أو غناً مُطْغِياً، تمنح غيرهم محاسنهم، صيرتهم عبيداً مملوكين وأسارى مفتونين، فهم بحبها يقطعون حبل الصلة بينهم وبين خالقهم، كانوا علماء فلفظوا العلم وتناولوا بعده سماً قاتلاً، قطّع أنياط قلوبهم، فهم أموات الأحياء، عميت قلوبهم، فلا يفرقون بين ناصح وغاش ولا بين حق وباطل، يهينون نفوسهم عند الحثالة من الناس أصحاب المناصب الشيطانية، يرون كلامهم قرآناً، وفسوقهم إيماناً، وعداوتهم لأولياء الله أماناً، كم عكفوا على المسائل العلمية والمجلدات الدينية، حتى كبرت عندهم أنفسهم

فاستخفوا بأولياء الله، وانسلخوا من حبهم لله ولرسوله إلى حب الشهرة وجمع المال، يتصيدون بمكرهم قلوب الغافلين، فحصل لهم –والله– نقيض قصدهم، فلا ذا تأتى ولا ذا حصل.

ولو حكّموا عقولهم ذلك الحين، وتواضعوا لخالقهم لوصلوا درجات الكمال البشري، وصاروا قدوة تقتفى آثارهم على مدى القرون الآتية، غير أن الله حكم وفي كتابه أعلم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

فالحذر الحذر يا طلبة العلم ويا معشر المؤمنين، تواضعوا لله ودينوا نفوسكم بالتُّهم الجلية، واذكروا ستر الله عليكم فيما جاهرتم به ربكم من المعاصي، ولو شاء لفضحكم، فذلك أدعى لقمع غرورها، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

وليعلم كل طالب علم وجادٍّ في طاعة الله أن النجاة كل النجاة في معرفة الشخص لنفسه وقدرها وذلك إذا عرف أن مكانته دون ما يتصوره بكثير، فهذا عبد أفلح وأنجح، وله من الله عاصم، أما من بدأ نقص العلماء في قلبه شيئاً فشيئاً فإلى جهنم وبئس المصير.

وفي مقالة إبليس موعظة كافية شافية عندما أمره الله بالسجود فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴿٧٦﴾﴾ [ص].

وليعلم كل مكلف أن الأمر كما قال سيد البشرية ﷺ: ((أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم)) وإنها كذلك إلى يوم القيامة، ولا بين أحد وبين الله هوادة فيما كلف به جميع عباده ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت]، غير أن من خالف الحق عامداً وصار لشيء من دين الله جاحداً تسلب منه نورانية القلوب، ويكشف ستره غلام الغيوب، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، وذلك في الفضل وضده، وفي إبليس لعنه الله وآدم عليه السلام عبرة لأولي الألباب.

نسأل الله السلامة من محبطات الأعمال، ومن الغرور بالنفس، فالمنة لله في كل ما وفقنا له وأعطانا، اللهم لا تكلنا إلى حولنا وقوتنا يا أرحم الراحمين.

وأنا أنصح جميع المؤمنين أن يتهموا أنفسهم وأن يسألوا الله دائماً أن يستر فضائحهم يكثرون من ذكر هذه الدعوة حتى يتيقن لهم أن لهم فضائح مستورة وأنها عند الله وعند ملائكته مشهورة، فذلك أقرب إلى النجاة من مصائد الغرور التي وقع فيها الجم الكثير والعدد الكبير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[معرفة نعم الله وأداء شكرها]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثناء لأمير المؤمنين وسيد الوصيين على الله بما هو أهله ولا أظن أحداً من البلغاء قد فاه بمثله: (اللهم أنت أهل الوصف الجميل، والتعداد الكثير، إن تؤَمَّل فخير مأمول، وإن تُرج فأكرم مرجوّ، اللهم وقد بسَطْتَ لي فيما لا أمْدَحُ به غيرك ولا أثني به على أحد سواك، ولا أوجِّهه إلى معادن الخيبة ومواضع الريبة، وعدلتَ بلساني عن مدائح الآدميين، والثناء على المربوبين المخلوقين، اللهم ولكل مثنٍ على من أثنى عليه مثوبة من جزاء، أو عارفةٌ من عطاء، وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة، وكنوز المغفرة، اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك، ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح غيرك، وبي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك، ولا ينعش من خلتها إلا منُّك وجودك، فهب لنا في هذا المقام رضاك وأغننا عن مد الأيدي إلى من سواك، إنك على كل شيء قدير).

هذا الكلام سماءٌ ملئت شموساً مشرقة، وأقماراً منوِّرة، ونجوماً زواهر، وأرض عمتها بركة الله، معادنها النفيسة في متناول طالبيها، وما خفي على الطالبين أعظم، وبحرٌ عميق لم يصل إلى قعره من الغواصين إلا أشخاص يعدون بالأصابع، فالتقطوا نفائس من درره أعشت لأضوائها أبصارهم، وتحيرت في وصفها أفكارهم، التقطوا قليلاً وقد بُهتوا بما رأوا، شبيه

الظامي بين المطر الغزير فتناولوا شربة من تلك المطرة التي ملأت الأودية وعمت جميع الشعاب.

ولله در من سئل عن أشخاص من أصحاب النبي ﷺ فوصفهم بما يعرف من أحوالهم فقال السائل: وعلي؟ قال: «إنما تسألني عن نفس رسول الله ﷺ» بهذا أو معناه.

انظر بالله عليك في قوله سلام الله عليه حياً وميتاً: (اللهم وقد بسطت لي في ما لا أمدح به غيرك ولا أثني به على أحد سواك) صلوات الله عليك يا وصي سيد المرسلين، قوله: «وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك» أراد عليه السلام النعم التي لا أحد من المخلوقين يستطيع إيجادها وبذلها وإن استطاع بما جعل الله فيه من القوة أن يقتلع الجبال ويرمي بها في عميقات البحار، من تلك النعم الحياة، وتنقله من طور إلى طور في أقصى درجة من الضعف غير أن عناية الله به محيطة حتى خرج من بطن أمه مخلوقاً سوياً؛ فله المنة البالغة والفضل العظيم.

كم مفاصل الإنسان المتحركة بما جعل فيها من القدرة؟ وخلق ما تحتاج إليه من الزيت؟ ولولا ذلك ليبست وتعطلت حركاتها، ودام على من هي فيه ضرها وألمها، ولم يهمل الله مفصلاً على كثرتها واختلاف أشكالها، شد بنيته بالأعصاب المختلفة، يحمل بتلك العظام والأعصاب الأثقال، ويمارس بها جميع الأعمال، من بداية أمره إلى نهاية عمره.

كيف لو وكل الله بكل قطعة من تلك الأعصاب أو قصبة من تلك العظام مخلوقاً يوجدها وحكيماً يصنعها، وأحوجك في عافيتها ونموها وإجراء الزيت في مفاصلها إلى مراجعة ومتابعة ذلك المخلوق الذي أوجدها والحكيم الذي صنعها؟؟ لَكَثُرَ على لسانك المدح والثناء على كل مخلوق أوجد فيك قطعة من تلك العصب، أو قصبة من تلك العظام، ولا سيما إذا كنت بحاجة ذلك المخلوق في عافيتها وفي بقائها.

نعم، يجري الله العافية في كل عصبة وقصبة ولو تعطلت واحدة من العصب أو قصبة من العظام لعظمت مصيبتها وضرَّ بك ألمها، جعل جميعها يمتص ما يحتاج إليه من الغذاء الذي يخلقه الله لها كي يطول بقاؤها ويستمر نفعها، وفي أشكالها وتركيبها البديع من حكمته.

انظر في قصب وعصب الأصابع كيف خلقت ذلك الخلق ولو ركبت غير ذلك التركيب لقل نفعها، فلو بطل نفع واحدة من تلك الأصابع وحل محله ألم يقلقك وفي منامك يسهرك، وعجزت عن مزاولة بعض الأعمال بسبب تلك العلة، ثم عالجها فيك مخلوق فعادت كما كانت وعاد نفعها وسلمت من ضرها وألمها؛ لطال منك الثناء على ذلك المخلوق لأنه أزال منك ألم في جزء بسيط من جسمك.

وعلى كل حال النعم من الله -عظمت منته- لا أحد من عباده يستطيع عدها، وكل نعمة من نعم الله على عباده التي يعجز الخلق عن إيجادها لا أحد يستطيع أن يقوم بواجب الشكر لموليها وموجدها.

عندما سئل أمير المؤمنين عن القدر أجاب على السائل بقوله: (بحر عميق فلا تَلِجْه) كذلك كل نعمة، وهذه قطرة من بحر لجي.

وكل واحد من أسرتك الذين يهمك شأنهم كذلك نعمة الله عليهم نعمة عليك، عناية الله محيطة بعقلك الذي جعل القلب وعاءً له، بوجوده في القلب أنت عاقل، وبغيابه عنه يرتفع عنك التكليف فما هو هذا العقل وأين يذهب إذا نمت أو ازداد ألمك حتى فقدته، وفي حال صغرك حتى بلغت؟

كم خزنت في تلك العجينة التي هي الدماغ من معلومات بسبب عقلك وإلهام الله لك معلومات مرئية لا ينحصر عددها ومسموعة كذلك ومطعومة ومشمومة وملموسة، فالمنة في جميع ذلك لله، وكل معلومة تفيدك في دين أو دنيا نعمة من الله عليك.

انظر في نعمة الله عليك بنظرك وتقليب حدقتيك وقد زين وجهك بهما ومكنك من النظر بهما في سمائه وأرضه في بره وبحره وعناية الله بهما محيطة، جعلهما حساستين لكي تسلما من المؤذيات وضعهما في أحسن موضع في الوجه لجماله ولسلامتهما، وفصل بينهما بالأنف لسلامتهما، ويعظم نفعهما إذا وقع في إحداهما أذى

سكبت الدمع لإخراجه، ولكي تسلم من الالتهاب، لا شيء أسرع منهما في قطع المسافات، غَمِّضْهما وافتحهما تشاهد السماء في لحظة واحدة كل ما تفكرت بعقلك في مرئي فذلك بسبب نعمة الله عليك بخلقهما وإيجادهما.

يُفقِد الله بعض الناس نظره ابتلاءً منه لذلك الشخص، ويعرِّف البصراء نعمة الله عليهم بخلق النظر ولم يحوج أحداً إلى الثناء على غيره من المخلوقين الضعفاء العاجزين فيما تقدم ذكره وفي بقية النعم التي ركبت في جسم الإنسان من قدمه إلى رأسه وفي باطنه وظاهره سواء كانت تلك النعمة جسماً أم عرضاً، مثل الذوق والسمع والبصر والشم واللمس وغير ذلك الكثير والكثير فالله هو الذي أوجدها وخلقها وأحسن تركيبها يغذيها بنعمه ويحرسها بقدرته وعلمه، ولم يحوج الإنسان إلى حمد أحد من المخلوقين والثناء على تلك النعم العظام وغيرها مما يعجز عن تعداده جميع المخلوقين فسبحان واهب النعم وصارف النقم من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم قال عليه السلام بعد الثناء على الله بما هو أهله: (اللهم ولكل مثنٍ على من أثنى عليه مثوبة من جزاء أو عارفة من عطاء، وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة) انظر في كلام سيد الوصيين وتأمل في ثنائه وتضرعه بين يدي رب العالمين متعرضاً بذلك المدح والثناء والتذلل إلى رحمة الله الواسعة ومغفرة

من عذاب الله الشديد مانعة.

نعم، الدعاء والثناء على الله والمناجاة إذا صدرت من قلب منقطع إلى الله فإنها لا ترد، ويحس الإنسان بذوق لتلك الطاعة وروحانية لتلك العبادة ويلهم الله صاحبها لكلمات تفتح لها أبواب العرش.

نعم، سمعت أذني قائلاً يقول وأنا ذلك الحين في حرم الله أمام بيت الله: «يا رب لو عصاني ولدي ثلاثين سنة وأقبل إلي تائباً متلطفاً لقبلته بسبب رحمة في قلبي وضعتها له، وأنا في حرمك وبجوار بيتك فاغفر لي يا أرحم الراحمين» فحسيت بشيء هز مشاعري لم أعهد له مثيلاً.

نعم، هذا الثناء والمناجاة والدعاء أخذته من نهج البلاغة ـ وأنا أنصح أولادي وطلبة العلم وإخواني المؤمنين والمؤمنات أن يكتبوه ويتحفظوه غيباً وأن يتقربوا به إلى الله ويقرأوه في كل يوم وليلة مرة واحدة؛ لأنه من كلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وقد جمع العجائب والغرائب جمع –والله– خير الدنيا والآخرة، وهو الذي كتبْتُه في أول هذه الموعظة وأنا أسأل من يعلم السر وأخفى أن يجعل قلوبنا أوعية لذكره وأن يعمر ألسنتنا بشكره وذكره ووالدينا وأولادنا والمؤمنين والمؤمنات إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[في رحمة الله بعباده]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين

من خلال التأمل فيما افترض الله على المكلفين بنظرتي القاصرة وجدت عناية الله محاطة بالرفق والترغيب أكثر بكثير مما يصحبها من التشديد والترهيب، يرسل الله في كل أمة من الأمم الماضية نبياً من البيوتات الرفيعة أزكاهم عقلاً وأحسنهم أخلاقاً وأعظمهم حلماً، صبوراً على جفوتهم، كظوماً للغيظ، يعفو عمن ظلمه ويعرض عمن شتمه، ويعطي من حرمه، يصبره الله على دعوتهم وإن خاف شرهم وفتكهم الشهر بعد الشهر والسنة بعد السنة، وما ذلك إلا لرحمة الله لعلهم يفيئون لرشدهم ويرجعون عن غيهم ويصحون من منامهم وسكرتهم، يريهم الله على أيدي أنبيائه المعجزات رغبة في إسلامهم لعلهم يسلمون من عذابه، فإن أبوا إلا تمادياً في غيهم واستمراراً في تعنتهم وفسقهم وكفرهم، أتاهم العذاب بعد الأزمان الطويلة.

لننظر في رحمة الله التي صحبت فرعون من بداية خلق موسى الكليم إلى وقت غَرَقِه، كم قتل وكم أذل، أجبر الله سبحانه وتعالى كليمه موسى أن يتوجه إليه بآيتين واضحتين ومعجزتين نيرتين أولاهما يده التي تخرج بيضاء منوِّرة من غير سوء، والأخرى عصاه التي تنقلب حية تسعى، وأمره سبحانه بالتلطف لفرعون في خطابه ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه]، ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات]، ولم

ينزل عليه الله غضبه إلا بعد الإعذار والإنذار على مدى العشرات من السنين وبعد أن هَمَّ بقتل موسى عليه السلام وأصحابه ففي هذا أدلة كافية أن الأولى بالداعي والمرشد استعمال الرفق من جميع وجوهه، ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه)) ((يسروا ولا تعسروا)).

انظر بالله عليك كيف ذكر -جلت عظمته- اسمه الرحمن مرتين في الفاتحة والرحيم كذلك، العقول تُحَسِّن قول من يرغب ولده أو صديقه في البيع والشراء بأن في البيع والشراء مكاسب كبيرة وأرباحاً من غير تعب، ولا تُحَسِّن قول من يرغب فيهما بقوله البيع والشراء يقع فيهما خسائر تقصم الظهور فعليك الانتباه إذا بعت أو شريت وإذا ورط الإنسان فيهما فإنه ينشب إلى آخر التهديد.

كذلك من يرغب ولده أو صديقه في الزراعة بقوله: الزراعة تعبها قليل وربحها كثير، مليئة بالبركة ويحصل لك ثواب بسبب ما يؤكل منها سواء كان الآكل بشراً أم حيواناً أو طيراً فإن العقلاء يحسنون قوله بخلاف لو قال له: الزراعة تعبها ليلاً ونهاراً، ويتحمل الإنسان فيها الخسائر الباهظة إذا لم ينتبه ويتعب ليله ونهاره.

كذلك الدعاة إلى الله من الواعظين والمرشدين ينبغي أن يرغب كل واحد مَنْ يرشده بقبول التوبة بأبسط عذر مع صلاح النية وأنه لا أحد أقرب من الله في الرضا على من يعتذر إليه وأنه يكتب له بتوبته بعد محو الذنوب ثواباً عظيماً بحيث أن الكافر لو أسلم بعد الشرك بالله ثمانين سنة وصدق في إسلامه وشهادته أنه عند الله من

المقبولين المستحقين للجنة لو مات بعد ذلك قبل أن يقوم من مقامه فإن العامة بمثل هذا الترغيب وما شاكله يرغبون في الدين وفي المسارعة في التوبة والإنابة فإذا تنورت قلوبهم وشملتهم رحمة الله وألطافه وأحسوا من أنفسهم بالرغبة في إرضاء خالقهم فإنهم يبحثون عن أسباب النجاة عند العلماء وفي مدارس طلبة العلم وفي مجالس الذكر ويسارعون في التخلص من المظالم، يصلون أرحامهم بعد القطيعة ويبرون والديهم بعد العقوق، ويحبون أهل بيت رسول الله والمؤمنين بعد العداوة والنصب، ويستمرون في الأعمال الصالحة وسوف يجعل لهم الرحمن وداً.

وعلى المرشد والواعظ أن يرغب في الصلاة بأحاديث الثواب والفضل، وكذلك في الزكاة وما يكتب الله لمعطيها من الأجر، وفي الحج وفضله وما يخلف الله على من يحج، وكذلك فضل صيام رمضان وبركته وخيره، وهذا من وجهة نظري وعلى من أشكل عليه الأمر أن يسأل نجوم الأرض وتراجمة القرآن وقرناءه.

وأسأل الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء قبول الأعمال وتجنيبها من المحبطات إنه ولي كل نعماء وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين. ١/ رجب/ ١٤٤٠هـ.

في فضل شهر رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد:

لقد مَنَّ الله -تقدست أسماؤه- علينا بنعم كثيرة من تلك النعم ما يعرضنا الله بها على الخير الكثير رحمة منه لعباده وتشريفاً لرسوله ﷺ وتكريماً لأمته، ومن أعظم ما خص الله به هذه الأمة شهر رمضان، شهر الرحمة والغفران، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، شهر نزل فيه القرآن، نزل في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، لقد أجزل الله في هذا الشهر الكريم عطاءه للصائمين المحتسبين للأجر الفريضة فيه تعدل سبعين فريضة فيما سواه، والنافلة تعدل فريضة، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

يقول المصطفى ﷺ: ((أوله رحمة))- سبحان الله ما أرحمه بخلقه، وما أجزل عطاءه لأوليائه، أوله رحمة، ممن هذه الرحمة؟ إنها من الله من أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، مِن رحمته سبحانه وتعالى أنه إذا دخل شهر رمضان صفدت -أي: قُيِّدت- فيه مردة الشياطين حتى تنقضي أيامه وتفتح فيه أبواب الجنان من أوله إلى آخره، وتغلق فيه أبواب النيران كذلك، وفي أول يوم منه تطرح عن الصائمين المتاعب ويخلق الله لهم في قلوبهم راحة نفسية يحس بها كل صائم من نفسه يحصل لهم عند الإفطار فرحة لم يعهدوا مثلها في

سنتهم الماضية وتمتلئ قلوبهم غناً ويزول عنها قلق الفقر، فترى الكثير من الصائمين إذا مر من أيامه أربعة أو خمسة أو ستة أيام يقولون: ما أسرع ذهاب أيامه يحس الصائمون بعافية في أجسامهم وروحانية في قلوبهم، ونشاطاً في ذكر الله وفي صلواتهم، نعمة من أرحم الراحمين.

((وأوسطه مغفرة))- لما استمروا في الصيام محافظين على الصلوات يتلون ما تيسر من كتاب ربهم ذاكرين الله في ليلهم وفي نهارهم، مَنّ الله عليهم بغفران الذنوب كل يوم يوضع عنهم صحائف من السيئات التي اقترفوها لأن تكرار التوبة والاستغفار طهور لصحائفهم من السيئات، يمحو الله بتوبة التائبين ذنوبهم، ويكتب لهم بها عظيماً من الأجر، رحمة من أرحم الراحمين، وتكرماً من خير المنزلين؛ لأن المستبصرين قد سمعوا قول حبيبنا المصطفى ﷺ: ((أوسطه مغفرة)) فسارعوا في الاستغفار في ليلهم وفي نهارهم، وبعد صلواتهم، وعند تناولهم لإفطارهم.

ترى الكثير يعدون لذلك المسابح كي تذكِّرَهم بالاستغفار والتسبيح والتحميد فلا يفترون عن الذكر لأن الفرصة سانحة ومضاعفة الثواب في هذا الشهر محدودة فهم أحرص على أوقاته لا تذهب سدى، والفرص تمر مر السحاب، وقلما أدبر فأقبل، ولا يدرون ما الله صانع بهم في سنتهم المستقبلة.

((وآخره عتق من النار))- من الذي قال هذا الكلام؟ إنه سيد

الأولين والآخرين حبيبنا محمد ﷺ يخبرنا عن الله أن آخر شهر رمضان عتق من النار.

نعم، في العشر الأواخر يظهر تأثير الصيام في وجوه الصائمين وفي أبدانهم حين أتعبوها بالامتناع من الأكل والشرب في نهارهم فاجتمعت حسناتهم في عشر رمضان الأُوَل وعشره الوسطى مع ما غفر الله فيها من الذنوب وستر عليهم من العيوب، فصارت هذه الحسنات قرباناً عظيماً وحازوا بها ربحاً جسيماً فتمحض من ذلك عتقاً لرقابهم من النار بخبر الصادق المصدوق ﷺ، فما أسعد من صام رمضان إيماناً واحتساباً!! يفرح بقدومه أعظم من فرحه بعرسه، ويحزن لفقده كحزنه في موت ولده، ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج].

الحور العين، يقول المصطفى ﷺ: ((إذا كان أول ليلة هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق شجر الجنة فنظر الحور العين إلى ذلك فقلن: يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا وما من عبد صام رمضان إلا زوجه الله زوجة في كل يوم من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله به الحور المقصورات في الخيام)) فأين العشاق للحور الحسان؟

نعم، يحق لكل من بذل في شهر رمضان جهده من الطاعة مع صيامه أن يقولوا: إنا لله وإنا إليه راجعون أنا حرمت الخير الكثير ولو لم يكن التقصير إلا في عدة ساعات من ساعاته لأجل ما يعطي

الله في هذا الشهر على العمل من الخير الكثير، الحسنات في هذا الشهر بلغت منتهاها في الغلاء لأن سوقها مفتوح من أوله إلى آخره فمن لفت نظره لهذه الأسعار الباهظة والجوائز الربانية، فاز بزوجات حسان في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، زوجاتٌ الواحدة منهن –ورب المبنيات السبع– عروسة في غاية شبابها بكر كلما تنعم بها زوجها أبد الآبدين.

وهنيئاً للمؤمنات في هذه الدنيا الفائزات برضوان الله اللاتي يصمن شهر رمضان مع ما تلقى من التعب على زوجها وأولادها لقد شاركت الرجل في الفخر والتعظيم واستحقاق الدرجات في جنات النعيم بشهادة القرآن قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد].

فلْتُجِدَّ المؤمنة في طاعة الله، تصلح نيتها، وتبكي على خطيئتها، فقطرة الدمع تطفئ بحوراً من النار، ولتعلم كل مكلفة، وكذلك كل مكلف أن كل أهل قرية في هذه الدنيا ينقسمون يوم القيامة فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، فالسعيد من اتعظ بغيره وخاف في هذه الدنيا وحصل على الأمان في الآخرة قال تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران].

وفي تمام حديث الرسول ﷺ: ((ويبعث الله منادياً ينادي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر كل ليلة إلى سماء الدنيا: يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر، هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل يعط سؤله؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟ ولله عتقاء عند وقت الفطر في كل ليلة من رمضان)):

((يا باغي الخير هلم))- بمعنى أقبل إلى كرم الله العظيم، إلى مضاعفة الأجور التي لم يُعْهَد لها في غير هذا الشهر الكريم مثيل، انظر أيها الراغب في ثواب الله إلى رحمة الله وألطافه كيف أخبرنا على لسان خير خلقه بنداء هذا الملك وإرساله إلى سماء الدنيا، فإذا أجبنا هذا الداعي وامتثلنا فإنا نحوز التجارة التي لن تبور، تجارة يَسَّرها لنا خالقنا له الحمد والمنة، تجارة أسبابها بأيدينا لم يحوجنا فيها إلى دفع الأثمان الباهضة من الأموال ولا إتعاب جوارحنا من حمل الأثقال فالحصول عليها في متناول كل من يقدر على الصيام بل ولو فقد القدرة على الصيام لعذر من الأعذار ما لم يفقد عقله، فالسعيد من المكلفين من لبى داعي الله من سمائه وأجاب رسوله وخير خلقه في أرضه ﷺ.

ثم ينادي الملك ثانية: ((يا باغي الشر أقصر))- هذا النداء موجه للغافلين من خلقه والعاصين من عباده أن يكفوا عن معاصي الرحمن وأن يستنقذوا نفوسهم من حبائل الشيطان، وهذا معنى: ويا باغي الشر أقصر، إذا لم يوفق المكلف لتوبة وإنابة في شهر رمضان

الكريم والشياطين مقيدة وأبواب الجنات مفتحة وابواب جهنم مغلقة مع ما في رمضان من البركة والخير فمتى يؤوب إلى مولاه، لا يأمن المتمادي في غيه المعرض عن ربه في شهر رمضان أن يسلب التوفيق والهداية حتى توافيه منيته فيندم حين لا ينفع الندم، ويكتب عند الله من الظالمين بسبب ظلمه لنفسه فيشمله تهديد الله لأعدائه وقد حضرتهم الملائكة لقبض أرواحهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...﴾ الآية [الأنعام:٩٣].

ويقول الملك سلام الله عليه وعلى الملائكة أجمعين: ((هل من داع فيستجاب له))- سبحانك يا معطي الخيرات ويا منزل البركات، ملك من ملائكة الله المعصومين المطهرين يخبرنا أن دعاء من دعا في شهر رمضان المبارك لا يرد، فكيف لا نكثر من الدعاء في هذا الشهر وقد قال تعالى بعد الآية التي ألزمنا فيها بصيام شهر رمضان: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: ما أحوجنا لدعاء ربنا ومولانا وخالقنا كيف لا ندعوا ربنا في التوفيق والتسديد والقبول وحسن الخاتمة، نحن بحاجة ماسة لدعاء ربنا أن يستر فضائحنا وأن يستر أحوالنا بين الخلائق يوم القيامة ؛ ونحن بحاجة ربنا أن يعافينا ويعافي أهالينا وأولادنا.

علينا بطلب الاستعانة من أقدر القادرين نطلب منه العون على الشيطان الرجيم، وعلى أنفسنا الأمارة بالسوء ندعوه أن يلهمنا من الأدعية وأفعال الخير ما نسعد به في ديننا ودنيانا إنه على كل شيء قدير.

ثم قال الملك: ((هل من سائل يعط سؤله؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟))- نعم، المؤمن جُلُّ همه التوبة والاستغفار لأن قبول التوبة والاستغفار هو السبب في نجاة مَنْ نجَّاه الله من عذاب النار وكم كان سيد المرسلين يحث على الاستغفار ويلازمه في لياليه كلها وأيامه ﷺ؛ لعلمه بفضل الاستغفار وحاجة أمته إليه، أما هو ﷺ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإذا كانت أبواب الجنان مفتحة من أول رمضان إلى آخره فلنكثر من الاستغفار مع الدعاء، ونلح على أن يغفر لنا جميع ذنوبنا في ماضي أيامنا وحاضرنا، نكثر من الاستغفار في شهر رمضان خاصة وفي غيره عامة أن يغفر لنا مظالم العباد، نستغفر ربنا أن يغفر لنا ما وقعنا فيه من الذنوب بألسنتنا وأسماعنا وأبصارنا وأيدينا وأرجلنا وقلوبنا، نستغفره أن يغفر لنا ما وقعنا فيه بما أعطانا وما ملكنا ولا نتكاسل فسرعان ما ينقضي شهر رمضان، وسرعان ما تنتهي أعمارنا، فما عذرنا إذا فرطنا.

تمام حديث الملك عليه السلام: ((ولله عتقاء عند وقت الفطر في كل ليلة من رمضان))- لا يبعد -والله سبحانه أعز وأعلم- أن المعنى في

قوله: «عتقاء عند وقت الفطر»: أن الله سبحانه بسبب إخلاص الصائمين في عبادتهم لرب العالمين يكتب لهم نجاتهم من النار؛ يوفقهم في بقية أيامهم بألطافه الظاهرة والخفية؛ لأنهم جدوا واجتهدوا واغتنموا فضل الله في شهر رمضان المبارك، فرضي الله عنهم وأرضاهم فتعظيمهم لشهر رمضان تعظيم لله، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

بسبب الجد آتاهم ربهم تقواهم وأعانهم على الاستقامة فاستطاعوا بتوفيق الله محاربة الشيطان الرجيم حتى وافتهم منياتهم وأخبرتهم الملائكة عند الموت بنجاتهم؛ لأن رحمة الله قريب من المحسنين فلا يوفق لصيام رمضان بإخلاص وتعظيم وحسن نية إلا مؤمن له من الله عناية، ولأجل الاستجابة انشرح نور الهداية في صدورهم وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم فتجافوا عن دار الغرور وأقبلوا على دار الخلود فعملوا لها أعمالاً زكية وتخلقوا بأخلاق مرضية وقد كانوا قبل ذلك يرضون للدنيا ومن أجلها يغضبون، وبعد التوفيق والهداية أصبحت الدنيا عندهم أرخص السلع البائرة، وعلموا أنها السم الناقع والعدو الخادع، عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ: ((الصائم لا يُرفع عشاؤه حتى تغفر ذنوبه)) انظر في عناية الله ورحمته لعباده في هذا الشهر الكريم جمع الله -تبارك وتعالى- لعبده الصائم في هذا الحديث النبوي بين نعمتين عظيمتين، نعمة عاجلة وهي ما رزقه من الأكل

والشرب ليتقوى بها على طاعته ونعمة آجلة وهي غفران الذنوب عند انتهائه من عشائه.

فيا أصحاب العقول الزكية والأخلاق المرضية من أمة محمد ﷺ لا يفوتنكم فضل شهر رمضان، لا تضيعوا أنفسكم في اللهو والأسواق، وفي مجالس القيل والقال، وسوف ترون غداً حسرات المفرطين الذين قالوا: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر]، تمر السنين وأصحاب الدبور يهربون من مساجد الله ويتجنبون مجالس الذكر وقراءة القرآن لا سيما في شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ((وكَّل الله ملائكة بالدعاء للصائمين)) وفي أمالي أبي طالب عليه السلام قال رسول الله ﷺ: ((أخبرني جبريل عليه السلام عن ربي قال: ما أمرت أحداً من الملائكة بالدعاء لأحد من خلقي إلا وأنا أستجيب له)).

نعم، من أجل ذلك ينادي الملك من السماء الدنيا: ((يا باغي الخير أقبل)) سبحانك يا رب ما أرحمك بعبادك من رحمته بعباده عامة وبالصائمين خاصة يوكل أمة من الملائكة صلى الله عليهم بالدعاء للصائمين، من هم الملائكة؟ هم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، دعاؤهم لا يرد بخبر أرحم الراحمين.

فيا معشر الصائمين أكثروا من الدعاء في التوفيق وحسن الخاتمة في هذا الشهر الكريم، ألحوا على الله بالدعاء في لياليه وأيامه، وتقربوا

فيه بقراءة القرآن وتدبر آياته، تصدقوا واحذروا البخل فالبخل شجرة في النار أغصانها متدلية إلى الدنيا، من تمسك بغصن منها قاده ذلك إلى النار، البخيل يعيش عيش الفقراء ويحاسب يوم القيامة محاسبة الأغنياء.

فالسعيد –ورب العزة– من حمل سلعه إلى سوق الله في هذا الشهر الكريم، وبذل الرخيص والغالي؛ تلبيةً لطلب الله وقبولاً لنصح رسول الله ﷺ ولله عاقبة الأمور.

وفي الأمالي الخميسية عن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لكل صائم دعوة، فإذا هو اراد أن يفطر فليقل عند أول لقمة: يا واسع المغفرة اغفر لي)) انظر نصيحة من أرسله الله رحمة للعالمين ﷺ دائماً يركز على الاستغفار وعلى طلب المغفرة فقد أرشدنا ﷺ أن نثني على الله بما هو أهله ونقول: يا واسع المغفرة، فينبغي للداعي أن يثني على الله قبل الدعاء في جميع أوقاته، ولما كان الصائم قد امتنع عن أكله وشربه من طلوع فجره إلى غروب شمس يومه وقد تمت عليه نعمة الله بصيامه وعمته رحمة الله بصبره أرشده أزكى البشرية ﷺ أنه يدعو بهذا الدعاء عند تناوله أول لقمة من فطره، فهذه النصيحة النبوية علاج ناجح لرحض الذنوب من الصحائف وهذه الدعوة من جوامع الدعاء، اللهم ألهمنا ذكرك وارزقنا شكرك ولقنا حجتنا عند الموت يا أرحم الراحمين.

في مجموع إمام الأئمة الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أفطر قال: ((اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبله منا))، اللهم لك صمنا: تواضع وخضوع بين يدي رب العزة تعرضاً منه صلى الله عليه وآله وسلم لرحمة الله وإرشاداً لأمته كيف يعاملون ربهم وخالقهم في هذا الوقت الذهبي، وأردف ذلك صلى الله عليه وآله وسلم بالثناء الجميل على الله بقوله: ((وعلى رزقك أفطرنا)) ثم توجه بلسانه وقلبه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبل ربنا صيامه نسأل الله قبول أعمالنا وأن يجزل ثوابنا إنه على ما يشاء قدير.

فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا تفوتك هذه الدعوات فإنها من أغلى الكنوز النبوية، وأثمانها من أكبر العطايا الربانية، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق].

وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم: عند فطره أيضاً: ((ذهب الظمأ وابتلّت العروق، وبقي الأجر إن شاء الله)) شكراً وثناءً منه صلى الله عليه وآله وسلم على ربه بما هو أهله وحسن ظن بخالقه، وذلك بقوله: ((وبقي الأجر إن شاء الله)).

نعم، الله سبحانه وتعالى يستجيب لمن دعاه، يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، أو يستعجل فيقول: دعوت فلم أُجَب)) لأنه لم يحسن ظنه بالله وقد أخبره مولاه في كتابه بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فالله يقول: ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وهذا يقول: لم أُجَب؛ فحجب الدعاء

بخيبة ظنه في خالقه ورازقه الذي خلقه وغذاه بنعمه وأسبل عليه نعمه، خيره عليه نازل وكرمه إليه متواصل، حفظه من المصائب والعاهات، وتفضل عليه بآلات التكليف من العقل والسمع والبصر، وأمهله بعد العصيان وأرشده بالقرآن ورغبه فيه بما أعد الله لأوليائه في جنات النعيم، وحذره رحمة منه بما حذر به أعداءه، فكيف يظن بربه ظن السوء ويقول: دعوت فلم أُجَب؟ فهذه العقيدة ترد الدعاء، يقول ربنا -جلت عظمته- في حديث قدسي: ((أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء)).

فعلى المؤمن أن يكون ظنه بربه حسناً؛ لأن الله يعطي الداعي على حسب مقتضى الحكمة؛ لئلا يفتتن فهو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، أرحم بنا من أنفسنا وأشفق بنا من والدينا، تعالى عن قول المبطلين علواً كبيراً.

في أمالي المرشد بالله عليه السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((نوم الصائم عباده، ونَفَسُه تسبيح)):

((نوم الصائم عبادة))- الشيء الذي يحبه البر والفاجر والمقيم والمسافر والكبير والصغير الإنسان وبقية الحيوان هو عبادة في حق الصائم، جلت عظمتك وتبارك وجهك ما أوسع فضلك، وما أكثر ما تعطي عبادك في هذا الشهر الكريم، ((نوم الصائم عبادة)) حيث فقد عقله وعطل عن الطاعة جوارحه، عناية الله به محيطة في سكونه وتقلبه غير أنه يكتب عابداً لله في منامه لأجل صومه.

أين الشاكرون لهذا الرب العظيم؟ أين أصحاب الخجل والحياء ممن يعرضنا على الخير حتى في منامنا إذا صمنا؟ فهل بقي عذر أو حجة لمن يتغافل عن دخول أبواب رحمة الله الواسعة؟ أو بقي عريان مع وجود أثواب ستر الله السابغة؟ ما أقل حياءنا إذا لم نلم أنفسنا بسبب التقصير، وصدق الله العظيم حين قال في حديث قدسي: ((خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد... إلى قوله: فلو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لسارعت إلى مقته)) نوم الصائم عبادة وصومه عبادة، عبادتان في وقت واحد، والمجازي عليهما رب واحد.

((ونفسه تسبيح))- أضيف لهذه الجملة عبادة ثالثة وهي التسبيح، كم يتنفس الصائم في شهر رمضان وهو صائم؟ وكل نفس يكتب للصائم تسبيحة، الصائم ينزه الله وهو في منامه بمعنى يكتبه الله ممن ينزهونه بالتسبيح فالسعيد من عرف فضل الصيام لا سيما في شهر رمضان شهر العفو والغفران، شهر نزول البركات وعتق الرقاب الموبقات من النيران، وصدق سيد المرسلين وأكرم مخلوق على الله من الثقلين حين قال ﷺ: ((لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة)).

فلنصح من رقدة الغافلين ولنختم بقية أعمارنا في طاعة الله، ونلح على الله بالدعاء أن يكتبنا من خير من يمر عليهم شهر رمضان المبارك في كل سنة بقيت من أعمارنا وأن يجبر مصيبتنا فيما مضى من

أعمارنا فإنها –والله– الخسارة التي لا تعوض والكسر الذي لا يجبر فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عن رسول الله ﷺ: ((من هجم عليه شهر رمضان صحيحاً سليماً فصام يومه وصلى ورداً من ليله وحفظ فرجه ولسانه، وكفّ يده وغض بصره وحافظ على صلاته مجموعة، وشهد جُمَعَه ثم بكر إلى عيده حتى يشهده فقد استكمل الأجر وصام الشهر وأدرك ليلة القدر وانصرف بجائزة الرب)).

قوله: ((فصام يومه)) أي: فصام أيامه، وصلى ورداً من ليله – أي: ما تيسر– من الركعات مع الواجب، وحفظ فرجه ولسانه، وما أدراك ما اللسان؟! اللسان غريم تحمله يقول أمير المؤمنين: (مثل الدنيا مثل الحية، لين مسها، قاتل سمها) وكذلك اللسان حية خشنة يقتل الإنسان، وبسببه يكب صاحبه في النار إن لم يتحامل عليه بعزيمة الجهاد الأكبر، قال المصطفى ﷺ راداً على معاذ بن جبل: ((وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم)) فبكلمة واحدة يوحد الإنسان ربه، وبأخرى يخرج من ربقة الإسلام، فالحذر الحذر من سموم اللسان القاتلة، وسكاكينه الباترة، وضربات سيفه الواترة، جروح لم تجبر في قلوب كثير من عباده بسبب كلام الآخرين، وفتن سنين وشهور بسبب كلمات إخوان الشياطين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله ﷺ: ((وكف يده وغض بصره)) البصر بينه وبين اللسان روابط، أخلاقهم متقاربة، فهذا بالنطق وهذا بالنظر إلى ما حرم الله، يقترف العصيان بالمشاهدة وصاحبه بالخبر، يعصي الإنسان ربه بنعمته البالغة، تستحيي من المخلوق فلا تنظر إلى محرم وإذا خلوت فلا تبالي بعلام الغيوب، فلو فكر الإنسان في شناعة هذا الفعل لطال لذلك حزنه وبكاؤه، وكثر حياؤه، يعصي الإنسان ربه بقيمة النظر قلّت أم كثرت، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠]، فغضُ البصر في هذه الدنيا عما نهى الله وحرم جزاؤُه في جنات النعيم التمتعُ بالنظر إلى وجوه الراضيات من الحور الحسان، وفي قصور الجنة التي يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، وفي رياض الجنة وما خلق الله فيها من ألوان الورود والأثمار، وكذلك الأشجار والأنهار، نسأل الله السداد وحسن الخاتمة.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الضامئة أكبادهم، وعزتي وجلالي لأروينهم اليوم، قال: فيؤتى بالصائمين فتوضع لهم الموائد وإنهم ليأكلون والناس يحاسبون)) الشرف في ذلك اليوم والفرح بلغ منتهاه لمن؟ للصائمين، الله -جلت عظمته- يقسم بعزته وجلاله ليروينَّ الضامئين لأنها ظمئت أكبادهم في الدنيا امتثالاً لأمر الله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم]، فالجزاء يوم الزحام هو الجزاء، والفخر في

ذلك اليوم هو الفخر، أمام الهالكين الذين تهاونوا بحرمة رمضان، ينوه الله بذكرهم ويسمع أهل المحشر بتعظيم رب العزة لهم؛ لأنهم جاعوا في الدنيا ليشبعوا يوم القيامة، وعطشوا ليرووا كذلك، ألا تسمع ما حكى الله عن أمير المؤمنين وأهل بيته حين أطعموا المسكين واليتيم والأسير طالبين بذلك الإطعام رضاء الله قائلين: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان]، نضرة النعيم في وجوه الصائمين يوم القيامة يراها مَنْ قرُبْ ومَنْ بعد مع سرور لم يعهدوا له في هذه الدنيا مثيلاً وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: ((للصائم فرحتان فرحة عند فطره)) وهذه ندركها بوجداننا عند الإفطار، ((والأخرى يوم القيامة)) نسأل الله أن يجعلنا من أهلها بجوده ومنه وكرمه.

ثم قال: ((فيؤتى بالصائمين فتوضع لهم الموائد وإنهم ليأكلون والناس يحاسبون)) الجزاء من جنس العمل أبدلهم الله من التواضع في الدنيا الرفعة يوم القيامة ومن الجوع في أيام صيامهم وجبات من أفضل الطعام ربانية، يأكلون والناس في ذلك الحين أفئدتهم هواء من دقة الحساب، ينادى باسماء الهالكين والظامئة أكبادهم في الدنيا فرحون مستبشرون قد كفاهم الله مؤنة المحشر بما رأوا من كرم الضيافة تتهلل وجوه الملائكة فرحاً إذا نظروا إليهم، وتمتلئ غضباً إذا نظروا إلى وجوه أعداء الدين، فمن صبر ظفر، ولا ينال التقدير في

مواطن الزحام يوم القيامة إلا من تحامل على نفسه وأتعبها في طاعة الله، يبيت خائفاً ويصبح فرحاً، خائفاً مما قد وقع فيه من الزلات في ماضي أيامه، فرحاً بما فتح الله له من أبواب فضله لقبول توبته.

في المختار نقلاً عن الجامع الكافي: وعن النبي ﷺ قال: ((من فطر صائماً كان له مثل أجره)) تباً للبخيل ما أبخله على نفسه وهنيئاً للسخي المنفق في شهر رمضان خاصة وفي غيره عامة، إنه رسول الله أزكى خلق الله وأصدق البشرية ﷺ القائل: ((من فطر صائماً فله مثل أجره)) ولم يقل: من أشبع صائماً، وفي حديث آخر: ((إن الله تعالى كريم يعطي هذا الثواب من لا يقدر إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائماً أو شربة من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك)) اغنم الفرصة يا صاحب الأموال قبل أن تموت، وتكون عليك وبالاً تشقى بجمعها ويسعد غيرك بإنفاقها، أصحاب النفوس الكريمة والأخلاق المرضية يتنافسون في الخير في شهر الرحمة والغفران شهر مضاعفة الحسنات، الفريضة بسبعين فريضة والنافلة بفريضة.

نعم، في المثل السائر المتداول بين المجتمع: « ما يجمِّل النفس إلا ما يكودها » وهل أنت شاكٌّ في وعد الله؟ أو متردد في خبر رسول الله ﷺ؟ غداً يسفر الظلام، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠]، زادنا الله رغبة في فعل الخير وترك الشر.

في أمالي المرشد بالله عليه السلام قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما الذي يباعد الشيطان منا؟ قال: ((الصوم يسود وجهه، ويكسر ظهره، والحب في الله، والمواظبة على العمل الصالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه)) أول الخصال المباعِدة عن الشيطان لعنه الله، والتي تسود وجهه من شدت الغيظ، والعجز عن النيل من أكثر الصائمين هو الصيام، معنى ذلك: أن الصوم على الشيطان لعنه الله خير ناصر ما دام وجهه يسود لذلك بخبر رسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقصم ظهره: عبارة عن خسارة على الشيطان لعنه الله لا تعوض لأنه لعنه الله كم تعب في إغواء كثير من المكلفين فلما صاموا إيماناً واحتساباً غفر الله لهم ذنوبهم وحط عنهم أوزارهم فصار ذلك وصمة خزي وعار في وجه الشيطان لعنه الله؛ لأن الصائم رحمة الله عليه نازلة يحوز بصيامه الثواب الكثير والأجر الكبير رحمة من أرحم الراحمين، وجزاء من أكرم الأكرمين.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والحب في الله والمواظبة على العمل الصالح يقطع دابره)) الحب في الله: أقوى عرى الإيمان يخبر الله للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، امتاز المتحابون في الله بخصال حميدة وصفات رشيدة مدحهم الله وأثنى عليهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]، المتحابون في الله أعمالهم صالحة فهاتان الخصلتان وهما الحب في الله والمواظبة على الأعمال الصالحة تقطع دابره لعنه الله عمن يتخلق بها فلا سبيل

للشيطان على من هذا حاله.

وآخر الحديث قوله ﷺ: ((والاستغفار يقطع وتينه)) لأنه علاج وغسيل لجميع الذنوب والعيوب الظاهرة والباطنة فلا نبي إلا وأمره الله بالاستغفار وهو يأمر أمته كذلك، الاستغفار يطهر صحائف الأعمال من الذنوب، ورد عن نبينا ﷺ: ((لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار)) وقوله ﷺ: ((يقطع وتينه)) الوتين: عرق القلب الذي لا يبقى معه حياة، والمعنى في ذلك: أن من يواظب على الاستغفار كمن قتل غريمه فاستراح من شره بقية عمره، فالله الله في الاستغفار ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً اقتداءً برسول الله ﷺ، وامتثالاً لأوامر الله ولله الحمد على ما وفقنا له ودلنا عليه.

أيها المؤمن أمعن النظر بقلبك وأصغ إلى نصيحتي بسمعك واستمع لخطاب الله يوم القيامة للهالكين، أعاذنا الله وجميع المؤمنين أن نكون منهم إنه أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس]، صدق الله العظيم.

فقد سمى الله سبحانه طاعة الشيطان عبادة، وأخبرهم أنه حذرهم من عدوه وعدوهم، وأنه لعنه الله قد أضل أمماً كثيرة

حتى عبدوه بطاعتهم، فصارت عاقبتهم إلى النار، فعلى المؤمن بما يدفع عنه الشيطان الرجيم وأعوانه من الإنس وذلك بالصيام مع الاحتساب، والحب في الله والعمل الصالح والاستغفار ليلاً ونهاراً، ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

اللهم اصرف عنا الشيطان وأعوانه يا رب العالمين.

قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر].

لقد شرف الله هذا الشهر الكريم وأشاد بفضله وذلك بنزول القرآن العظيم في ليلة من لياليه ألا وهي ليلة القدر المباركة كما أنه عظم كتابه غاية التعظيم بإنزاله في ليلة القدر كذلك، فينبغي أن يكثر المؤمنون من تلاوة كتاب الله والاستماع لتفاسيره؛ لأن الله قال: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ ولأن القراءة فيه نفلاً كالقراءة فرضاً فبقرآة القرآن في شهر الصيام تنال الرغائب وبالمحافظة على صلواته في جماعة وكذلك جُمَعه هي -ورب العالمين- من أكبر المكاسب.

في أمالي أبي طالب عليه السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من هجم عليه شهر رمضان صحيحاً سليماً فصام يومه وصلى ورداً من ليله، وحفظ فرجه ولسانه، وكف يده، وغظ بصره، وحافظ على صلاته مجموعة، وشهد جمعه، ثم بكر إلى عيده

حتى يشهده فقد استكمل الأجر وصام الشهر وأدرك ليلة القدر، وانصرف بجائزة الرب عز وجل)) اللهم اجعلنا من أهله ولا تحرمنا أجره.

في مجموع الإمام زيد عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أفطر قال: ((اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبله منا)) وعن علي عليه السلام مثله بزيادة: ((ذهب الظمأ وابتلّت العروق وبقي الأجر إن شاء الله)).

وقال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((اطلبوا ليلة القدر إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين)).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (إن فوق السماء السابعة حضيرة يقال لها حضيرة القدس فيها قوم يقال لهم: الروح، فإذا كانت ليلة القدر استأذنوا ربهم تبارك وتعالى في النزول إلى الدنيا فلا يمرون بأحد يصلي أو يستقبلونه إلا أصابته منهم بركة).

وفي الأمالي: عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من صلى ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)).

وفي الأمالي عن أبي سلمة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)).

وفي الأمالي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أفواه السكك تنادي: يا معشر

المسلمين اغدوا إلى رب رحيم يأمر بالخير ويثيب عليه الجزيل، أمركم بالصيام فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا العيد نادى مناد من السماء: ارجعوا إلى منازلكم راشدين، فقد غفرت لكم ذنوبكم كلها، وسمي ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة)).

وفي أمالي المرشد بالله عن ثوبان عن النبي ﷺ: ((من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر)) كرم من ربنا عظيم، فيما يعطيه على الست الصبر، فينبغي أن لا يتكاسل المؤمن من صيامها فلا يدري أيلحقها في السنة الثانية أم لا، وما ذكرت على لسان خير البشرية ﷺ إلا لشأن وليفكر المؤمن في حديث رسول الله ﷺ حين قال: ((يحشر المرء مع من يحب وله ما كسب)).

أخيراً أسأل الله بمنه وجوده أن يجبر مصيبتنا فيما مضى من شهور رمضان السابقة، وكذلك بقية الشهور، وأسأله أن يوفق المؤمنين والمؤمنات لاغتنام الخيرات في كل رمضان يأتي عليهم من زمننا إلى يوم القيامة، وأن يشركنا في دعاء كل داع وفي دعاء الملائكة، وأن يجنب أعمالنا من المحبطات وأن يهب لنا رغبة في الدعاء وأعمال الخير من نفوسنا كرغبتنا لطعامنا وشرابنا وأن يصلح نوايانا ويجعلنا بقدرته لأنعمه من الشاكرين، وكثر الله عدد علمائنا المخلصين، وطلبة العلم والمرشدين، وأن يحيي بهم الدين القويم، وأن يعمنا برحمته وبركته وعفوه وستره، وأن يحسن أخلاقنا في طاعته، ويصلح

أهالينا وأولادنا في حياتنا وبعد مماتنا، وأن يرحم والدينا ويغفر لنا مظالم العباد، إنه على ما يشاء قدير. كان الفراغ من كتابة هذه الصفحات ليلة الثاني من شهر رجب سنة ١٤٤٠هـ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

رسالة للنساء هامة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد:

لما كان التكليف من ربنا -جلت عظمته- شاملاً للذكر والأنثى خلق الله لكل مكلف ومكلفة عقلاً وسمعاً وبصراً، نعمة منه على عباده عاجلة وآجلة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن هذه القلوب أوعية، وخيرها أوعاها)، وقد استخرت الله وعزمت على كتابة رسالة أردت من خلالها توجيه نصيحة إن شاء الله للأمهات والبنات التقيات، أسأل الله أن يجعل ذلك سبباً في صلاح من يقرأها، وعملاً صالحاً لا يشوبه رياء ولا سمعة، إنه على ما يشاء قدير.

فأقول ومن الله أستمد الهداية والعون والتوفيق:

[في البحث عن أسباب النجاة]

اعلمي أيتها الأخت المؤمنة أنه يجب عليك ويتحتم البحث عن أسباب النجاة من عذاب الله، والخلود في النار، ما دمت في هذه الدار التي هي الدنيا؛ لأن الله جعلها محلاً للتكليف فيها أنزل الله كتباً وأرسل رسلاً، مبشرين ومنذرين، وركب فينا عقولاً نعرف بها ما جاءت به من الهداية، فلا عذر يوم القيامة ولا حجة لأحد من المكلفين؛ لأن جزاء من أطاعه في هذه الدنيا الجنة، ومن أعرض فجزاءه الخلود في النار، فالعاقلة من النساء هي التي تبحث عن أسباب النجاة، وتعمل ما علمته طاعة لله، وتتجنب معصيته.

نعم، النساء إذا اتجهن بجد واجتهاد فإنهن ينجحن في أعمالهن نجاحاً كبيراً، وسواء كان العمل دينياً أم دنيوياً، بعض النساء يشتهرن في الطب ويجرين عمليات دقيقة في أماكن من جسم الإنسان خطيرة قل من يستطيع إجراءها من الرجال، وما سبب ذلك إلا أنها اتجهت وجدت واجتهدت وتحملت كلافة الدراسة سنيناً عديدة.

وكذلك في أمور الدين نجح نساء كثيرات واشتهرن حتى تناقلتهن كتب الإسلام، بعضهن ذكرت في كتاب الله بخير ذكر، مثل مريم العذراء الطاهرة، ومثل آسية زوجة فرعون، ومثل سارة زوجة خليل الله إبراهيم، وقد حث النبي ﷺ على زواج المتدينات قال ﷺ: ((فاظفر بذات الدين تربت يداك)) فيمكن للمرأة المؤمنة أن تنافس الرجال في درجات العزة

والكرامة في جنات النعيم، وأن تكون قدوة لمجتمعها ولمن يأتي بعدها من النساء.

نعم، قد رأينا وسمعنا صاحبات تقوى من المرشدات أصلحن مجتمعات من الأمهات والبنات، أصلحن أسراً كانت حياتها حياة البهائم والوحوش، فسعدت تلك الأسر حين غمرها في بيوتها الإرشاد والهدى والدين، فما أسعد من دبت ودرجت في تعلم العلم ونشره، المرشدة رب العالمين عليها راض وملائكته وأنبياؤه والأئمة والعلماء والمؤمنون، وهي ممن قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، ولو لم يكن إلا حديث رسول الله ﷺ: ((يا علي لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس)).

فالسعيدة من حملها عقلها على تعلم العلم وتعليمه وبذله، فمن كانت كذلك فعقلها هو العقل الراجح.

وقد خلد الله ذكر آسية زوجة فرعون كما سبق ودلنا بذكر كلامها في كتابه على رجاحة عقلها وغاية مطلوبها وما تتوق نفسها إليه سلام الله عليها ورضوانه، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿١١﴾﴾ [التحريم].

انظري أيتها المؤمنة إلى كلام من جعلها الله قدوة للمؤمنين والمؤمنات وتأملي بدقة في حسن كلامها.

نعم، هي ملكة في بيت ملكٍ جبار، نشأت في رغد العيش بين الترف تلبس ما شاءت من أفخر الثياب، وتكتسي ما أرادت من أفخر الحلي، أمرها مطاع؛ لأنها زوجة فرعون الجبار الذي أذل العباد وصيرهم عبيداً لجبروته، إذا أرادت فعل أي فاحشة فلا مانع – وحاشاها-؛ لأنها ملكة وزوجة الملك، وحاشية الملك من أجمل الرجال وأقواهم، ولكنها عزفت وأعرضت عن شهوات النفس في هذه الدنيا وتوجهت بقلبها الطاهر إلى ربها، وتعلقت روحها بما أعد الله لأوليائه في جنات النعيم، طالبة من الله الرحمن الرحيم الجوار قبل الدار: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، من الذي ألهمها؟ من الذي وعظها وعرفها أن هناك داراً لأولياء الله خير من هذه الدار؟ وأن الحياة فيها أبدية؟ من الذي عرفها أن الشهوات في هذه الدنيا سموم قاتلة إلا ما أحل الله؟! إنه العقل الراجح، العقل السليم، إنه النظر الصحيح، والفكرة الصافية.

الناس في وقتها ينظرون بعيونهم إلى القصور العامرة، وهي تنظر بعين قلبها إلى البيوت الخربة الدامرة، الناس ينظرون بعيونهم إلى الصور الجميلة والأجسام الناعمة وإلى ما فوقها من أنواع الكساء، وهي تغوص بفطنتها الصافية إلى ما في بطون القبور من الأجساد الخاوية والعظام النخرة، وتنظر بعينيها إلى صور من قربت آجالهم، وتغيرت ملامح صورهم، والناس ينفرون عن مجالستهم، تنظر إلى المقابر نظرة المستبصرين، وتقول: لا خير في حياة هذه آخرها، لا خير في جسد وَرَّطَ نفسه ودنسها، وبعد ذلك غُيّب بين التراب.

هنالك ومن أجل ذلك تجلت لها الحقائق، وعزمت على البحث عن حياة تختلف عن هذه الحياة، تغيرت نظرتها كاملة عما الناس فيه وتوجهت بعزم قوي وإرادة جبارة تبحث عن أهل الدين وتراسلهم قائلة: كيف المخرج؟ وأين الطريق الموصلة إلى حياة أبدية، وسعادة سرمدية؟ صدق الله العظيم القائل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴿١٧﴾﴾ [محمد].

تنظر في أفعال فرعون الجبار، من القتل والظلم، والتكبر والتجبر، فتزداد وحشة من بيت الملك، وتنظر في أعوانه عبيد الدنيا وفي أفعالهم المروعة من تنفيذ أوامر فرعون الطاغية فتكره الحياة، وتعيش وحيدة، عند ذلك قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿١١﴾﴾.

من أجل ذلك كله خلّد الله ذكرها في أشرف كتاب أنزله على أفضل نبي من أنبيائه، خلد الله ذكرها إلى يوم القيامة، روي أن الله زوّجها بخير خلقه نبينا محمد ﷺ.

ولما علم فرعون -لعنه الله- بإسلامها قتلها شر قتلة، فصبرت وظفرت بالشهادة وأحيا الله ذكرها بعد الممات، فسبحان من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

رحمكِ اللهُ يا آسية، وسلام الله على روحك الطاهرة يوم أسلمتِ، ويوم قتلتِ، ويوم تبعثين حية، وصلى الله وسلم على خير خلقه وعلى آله الطاهرين.

[في معرفة الله والتفكر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين، وبعد:

الإنسان سواء كان ذكراً أم أنثى لا يحصل على المدح والثناء والتعظيم من الله وعلى ألسنة أوليائه إلا بعد العناء والتعب في طاعة الله ومرضاته، وخير الناس أنفعهم لخلقه، فالمرأة عندما تحمل المسئولية الدينية بعد المعرفة لما يجب عليها في أمر دينها ينبغي لها أن تشعر بالمسئولية وأن تستقبل الحياة بهمة وعزم وإرادة قوية وتحدث نفسها دائماً أن حصاد الصبر النجاح والفلاح، وحصاد الكسل الخيبة والندامة، وتنظر فيمن يثني عليها القريب والبعيد، وتعلم أن ذلك الثناء لم يحصل إلا بعد التعب والنصب والشدة والعناء.

ثم تمعن بنظرها جيداً فيمن زرعت الكسل كيف حصدت الندامة، فلا ثناء من الله ولا ذكر حسن بين خلقه، ولا أسرة كريمة، ولا حياة طيبة، فمن هنا يجب ويتحتم على المرأة المسلمة أن تأتي البيوت من أبوابها، وأن تطلب العزة والحياة الطيبة من وجهها.

وأول ذلك وأولاه بالتقديم معرفة الله حق المعرفة، وذلك بما عرّف به أولياءه من معرفته، وذلك أنه واحد أحد فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأنه لا يُرى بالعين كما نشاهد الأشياء المرئيات، فلو كان يرى بالعين لكان مخلوقاً مثلها، ولم يكن خالقاً، كل ما نراه بأعيننا ونشاهده بأبصارنا هو قابل للزيادة والنقصان، من ذلك السماء هي أكبر ما نشاهده في هذا الكون هي قابلة

للزيادة والنقص، هي قابلة للصغر والكبر، فلو قربت منا لكانت أصغر مما هي عليه، ولو بعدت لكانت أكبر، وما ذلك إلا لأنها مخلوقة بهذا الحجم باختيار مختار قدرها، وقادر حكيم خلقها.

نعم، فكري أيتها المؤمنة من الذي خلق أول ما زرع في الدنيا من الحبوب والأشجار، وكذلك أول مخلوق من الحيوانات ومن ذلك الإنسان؟ إنه الله الذي يخلق الأشياء من العدم، كذلك كل ما يطير في السماء أو يسبح في البحار، الله الذي خلق الجميع بقدرته الباهرة ودقة حكمته البالغة، من الذي يتولى تنمية كل حيوان في بطن أمه، وكذلك ما يخلقه الله في البيض؟ إنه أقدر القادرين.

خلق الطيور أشكالاً مختلفة في صورها وشكلها وكبرها وصغرها، فكري أيتها العاقلة من الذي صبغها بتلك الألوان الجميلة، من أسود إلى أبيض إلى أحمر وأخضر ورمادي ووردي وبُنِّي ومشكَّل وغير ذلك، إنه الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

من الذي أقدرها على الطيران تجوب السماء حيثما شاءت، خلق لها أصواتاً مختلفة لا يختلف صوت الصغير إذا كبر عن صوت والديه وجميع الأسرار التي في الآباء يودعه الله في الأبناء، الهدهد مثلاً يكبر الصغير وهو متخلق بطبع والديه يغيب عنا فترة ويظهر أخرى وعلى هذه الطريقة جرت حكمة الله.

فكري في صور بني آدم الذكر والأنثى كيف خالف بينها ربنا -جلت عظمته- وكذلك الأصوات فإنكِ لا ترين رجلين أو امرأتين في صورة واحدة، كل واحد من الأسرة له طبع وهواية تختلف عن غيره، وجعل سبحانه لبني آدم إرادات كذلك مختلفة.

عندما سئل أمير المؤمنين: بماذا عرفت ربك؟ قال: (بنقض العزائم) صدق سلام الله عليه، الإنسان يعزم على أمر في أي وقت من طاعة أو عمل دنيوي، وفي وقت آخر تنتقض تلك العزيمة.

نعم، يخلق الله الحيوان في بطن أمه، ويركب فيه كل ما يحتاج إليه إذا خرج في الدنيا، يخلق فيه رجلين ويدين وفماً ولساناً وعينين ومداخل لغذائه ومخارج لما يخرج منه، يخلق فيه كبداً ورئة وأمعاء وكلاء، ويكسيه بشراً أو شعراً، الحيوانات غير الإنسان ما تلبث إلا أياماً وتقوم بأنفسها؛ لعجز أمهاتها عن القيام بما يصلحها بخلاف الإنسان؛ لأن الله أعطى الأم قدرة على تربية أولادها، يكتب لها بسبب ذلك ثواباً عظيماً؛ لأنها مكلفة بسبب عقلها.

فكري في السماء وما أجملها! من الذي زينها بالكواكب المضيئة؟ من الذي مد الأرض ونصب فيها الجبال، وكساها بأنواع الزهور؟ قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧﴾ [ق]، فهذه وما شاكلها دلائل قدرته، فمن كان كذلك فإنه لا يشبه المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله، وهذه عقيدة آل رسول الله أجمعين، أولهم

أمير المؤمنين كرم الله وجهه، قال في صفة ربنا وتعريفه: (من تفكر في الخالق ألحد، ومن تفكر في المخلوق وحد)، وقال عليه السلام: (التوحيد ألا تتوهمه، والعدل ألا تتهمه) أراد أن لا تتوهمه بصفة أو فعل من صفات المخلوقين وأفعالهم.

فعليكِ أن تعرفي الله بهذه المعرفة، عليك أن لا تتوهمي الله أو تتصوريه، وما عليك إلا الإيمان برب موجود قادر عالم، حي سميع بصير، لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، تعالى عن صفة المخلوقين علواً كبيراً.

ثم بعد ذلك تعتقدين أن الله عدل حكيم لا يظلم أحداً من خلقه، ولا يفعل خلاف الحكمة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

نعم، الله سبحانه وتعالى غني عن كل شيء، وعالم بكل شيء، ومن جملة ما يعلمه أن الظلم قبيح، ومن كان عالماً بكل شيء وغنياً عن كل شيء فإنه لا يفعل الظلم، ولا يفعل خلاف ما فيه الحكمة، فالإنسان لا يظلم إلا لجهله، أو لحاجته لخلاف ما فيه الحكمة، مثلاً يظلم الناس لأخذ ما في أيديهم ليستنفع به لأنه محتاج، أو يفعل خلاف ما فيه الحكمة لأنه جاهل لذلك، بخلاف من هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير.

نعم، ويجب عليكِ أيتها المؤمنة أن تعلمي وتعتقدي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أرسله الله لتبليغ دينه، وأنه لا عذر يوم القيامة

لأحد من أهل النار ولا حجة، وقد حكى الله قول المؤمنين الشاهدين لله بالحجة قائلين: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران:١٩٣]، وحكى مقالة أعداء الله أصحاب الخلود في عذاب الله ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك].

وعليكِ أن تعتقدي بقلبك وترسخي في عقيدتك أن لله في كل ما جهلناه حكمة بالغة، مثلاً الأشياء التي نتأذى بها مثل الذباب والنامس والدواب المؤذية والسموم والشوك وغير ذلك، عليك أن تُسَلِّمِي أن لله فيها وفي أمثالها مما جهلنا وجه الحكمة فيها حكمة بالغة؛ لأنه بكل شيء عليم، ولا يفعل غير الحكمة إلا الجاهل أو المحتاج، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[في الحث على الصلاة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢]، أمر الله في هذه الآية نبيه أن يأمر أهل بيته عليهم السلام بالصلاة وأن يصبر عليها، فيجب عليكِ أيتها المؤمنة أن تتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عليك أن تُصَبِّري نفسكِ على الصلاة، وأن تحثي أهل بيتك على أدائها في كل يوم وليلة حتى ترسخي ذلك في قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

وعليك أن تتعلمي الواجب من الوضوء، وما يجب عليك في الغسل من الحدث الأكبر، وتعلمي أولادك وبناتك كل ذلك، ولا يتم لك ذلك إلا بالقراءة وطلب العلم، فلا تخسري حياتك في اللهو والنوم، فحياة الإنسان أغلى شيء في هذه الدنيا، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((بقية العمر لا ثمن له)).

واحذري مجالسة صاحبات القيل والقال، فمجالستهن تقسي القلوب، وتفتح عليك أبواب الذنوب، من الغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة)).

واعلمي أن الملكين قائمان عن يمينك وعن يسارك يكتبان كل ما تكلمت به من خير أو شر، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]،

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق].

ومما تتميز به المرأة المؤمنة من الخصال الحميدة والأفعال السديدة والأعمال الرشيدة عدة أمور:

١-النظافة في نفسها وأولادها وبيتها، ولا تتكاسل في ليلها عن ذلك ونهارها، فبذلك العمل يسعد زوجها ومن دخل بيته، وتكون الأسرة سعيدة بذلك، وأسلم من الأمراض والبلاء من غيرها، فالراحة للقلب مع النظافة، والهم والغم مع ضدها.

٢-المبالغة والصبر على إرضاء زوجها في طاعة الله، وقَلَّ من تفي بذلك من النساء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت].

٣-التحفظ عن المراددة على زوجها ولزوم الصبر، فذلك أدعى لرضاه والندامةِ منه على كل كلام قاس يخاطبها به وقت الغضب.

٤-العناية والاهتمام بوالديه وأرحامه إذا جاءوا إليه وما تفعل ذلك إلا صاحبة حظ عظيم وعقل زكي.

٥-أنها تترك المطالب التي يتضجر منها، فإذا كان ولا بد فعليها بالرفق وذلك في وقت سروره وراحته، وإذا أحست منه بتضجر فتمسك لسانها وتتناسى عن مطالبها

وتظهر له أن راحته أحب شيء إليها، وقد ندب إلى ذلك ربنا في كتابه قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت]، وإذا التمست منه غضباً فتشهد له بالضيم وتطلب المسامحة فهذا أقرب لرضاه وأطيب لنفسه، وكم لها في ذلك من الأجر.

وعلى كل مؤمنة أن تعلم أن الفتن في هذا الزمان قد كثرت كما قال النبي ﷺ: ((أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم)) غير أن الله قد حفظ لنا الدين بحفظه لآل محمد، وحفظه للقرآن العظيم، قال النبي ﷺ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

فعقيدة آل محمد أن الله لا يُرى ولا تجوز عليه الرؤية في الدنيا ولا في الآخرة، فكل ما يرى فهو مصنوع مخلوق، والخالق بخلافه.

وعقيدة آل محمد أن الله لا يرضى بالمعاصي ولا يقدرها ولا يكلف أحداً من المخلوقين إلا ما يستطيع، وعقيدة آل محمد أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي عليه السلام وبعده الحسن ثم الحسين، ولا تصح ولاية الأمة في كل زمان إلا من آل محمد.

ومن الفتن المهلكة للحرث والنسل شاشات القنوات الفضائية ومقاطع الخلاعة التي بسببها يقل الحياء ويقع التهور في الشهوات المحرمة، ويزيد الطين بلةً أن بعض من ينتسب إلى الدين يقتني ذلك ويحث على شرائه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وصدق رسول الله ﷺ: ((في آخر الزمان يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر)).

فإذا أَرَدْتِ النجاة أيتها المؤمنة فعليك بتقوى الله ولزوم بيتك، وعليك بمجالس الذكر ومدارس العلم عند المعلمات المؤمنات، وعليك بالجد والاجتهاد في تعليم أولادك وبناتك عند المرشدين والمرشدات، واجعلي ضميرك خالياً من الحسد والأحقاد على الناس، وعظمي الدين وأهله، وأبغضي الباطل وحزبه، وأوصيك ثم أوصيك بالدعاء في حلك وترحالك، في ليلك ونهارك، فباب الله مفتوح للراغبين، ودعوة الله قائمة للداعين، قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢]، ومن أعظم الدعاء وأفضله الاستغفار، فالاستغفار سبب في كل خير.

وإذا صرت من أهل التقوى والدين فاعلمي أن عناية الله بك محيطة وألطاف الله لك شاملة، وأنت مثابة مأجورة في عافية أو بلاء، وفي غنى أو فقر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

وأنتِ آمرة بالمعروف في تربية أولادك وتعليمهم وداعية إلى الله وأنت -بصبرك على إرضاء زوجك- مجاهدة في سبيل الله بالجهاد الأكبر وهو جهاد النفس.

أسأل الله أن يعين المؤمنات على طاعته وأن يزيد في عقولهن ويبارك في أعمالهن، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[في الحشمة وغض البصر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحشمة وغض البصر عما لا يجوز، وحفظ الفروج من أقوى الأسباب في بركة النسل وصلاح الذرية(١)، شاهد ذلك من كتاب الله قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴿١٢﴾﴾ [التحريم].

نعم، ما قص الله في شأن هذه السيدة الطاهرة وما عانت في مجتمعها، وما لاقت من ابتلاء الله لها وتمحيصها مدرسةٌ كاملة لكل صاحبة عقل زكي وقلب نقي، فينبغي على المؤمنة إذا قرأت كتاب الله أو كانت مستمعة ووصلت عند ذكر مريم البتول الطاهرة أن تتأمل جيداً فيما ذكر الله عنها وفي شأنها، فالصالحون والصالحات قدوة أحياء وأمواتاً.

وكذلك يجب التأمل في كتاب الله والتدبر له كله، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، فالقرآن دليل كل مؤمن ومؤمنة في دار التكليف، وشاهدٌ لهم يوم القيامة بالعمل بأحكامه وحجة دامغة يوم القيامة، وعدوٌ لدود

---

(١)- وتيسير الرزق، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

لأعداء الله يوم الطامة، نسأل الله السلامة من الفضائح والخزي والعار وهتك الأستار إنه سميع مجيب.

نعم، التساهل في تربية الأولاد والبنات لا ينبغي فالتعليم في الصغر كالنقش في الحجر، فينبغي للمرأة المؤمنة أن تلزم بيتها وتترك مجالس اللهو واللغو، فمجالسة الغافلات عن الدين تقسي القلوب وتورث الذنوب ويحصل بسبب تلك المجالسة إهمال وتقصير في حق الزوج والأولاد، وللمؤمنة شغل كاف في إرضاء زوجها وتربية أولادها ونظافة بيتها وما يعنيها أمره، وعليها بتلاوة كتاب الله والإكثار من ذكر الله، فذكر الله سبب في راحة القلوب قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، فالذاكر لله ينور الله بصائره ويمده بعونه وألطافه.

وقد اعتزلت مريم الطاهرة عن قراباتها ومجتمعها من أجل ذكر الله قال تعالى فيما حكى عنها: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴿١٦﴾﴾ [مريم].

ولتعلم كل مؤمنة أن الله ما خلقنا في هذه الدنيا لأجل الدنيا بل خلقنا لأجل الآخرة؛ لأن الدنيا عمرها قصير وشرها كبير، فعند غروب كل شمس وعند طلوعها يظهر حساب كل مكلف فيما عمل في يومه وليلته؛ فاغنمي أيتها المؤمنة لياليك وأيامك، واشغلي وقتك بما تقدمين عليه غداً من الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠].

ولا تنسي من قد وصلن إلى تلك الحفر كيف تركن بيوتهن وأولادهن، وصرن في عداد المنسيات، رحلن عن الدنيا وقد مُلِئَتْ كتبهن خطايا بسبب القيل والقال، وحضور مجالس الغافلات عن ذكر الله.

كثير من النساء تذهب إلى حفلة أو عرس فتعود بالشر على زوجها وأولادها تعود بالمطالبة لزوجها بما رأت مع بعضهن من الكسوة المرضية للشيطان والمسخطة للرحمن، فتحقر نعم الله عليها من الدين والعافية والستر وغير ذلك.

فالحذر كل الحذر من حضور مجالس اللغو والغفلة فلا تورث تلك المجالس إلا الندامة، وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر].

هنا قصة ذُكِرَت في كتاب الله تحكي لنا حشمة المؤمنات التقيات والعفيفات الطاهرات، في ذكرها وتدبرها صحة القلوب من المرض وحياتها من الموت، تلك القصة ذكرت في سورة القصص من آية (٢٣) إلى آية (٢٦) وكان نزولها في سَفْرة نبي الله موسى عليه السلام الشاقة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾.

تأملي أيتها المؤمنة في حشمة هاتين المرأتين قيل -والله أعلم-: إنهما بنتا نبي الله شعيب، كيف أثنى الله عليهما بتجنبهما لمزاحمة أهل الفسوق واللهو من النساء والرجال، وبينتا العلة في خروجهما: أن أباهما شيخ كبير وإلا لما خرجتا من بيتهما، فلأجل ذلك يسر الله لهما من سقى لهما مع غاية العفة والطهارة، ويسر الله لهما من كفاهما بتعب رعي غنمهم عدة سنوات، ويسر الله لإحداهما الزواج بنبي من أولي العزم وهو موسى عليه السلام.

فلو كان الاختلاط ومزاحمة الرجال مشروعاً لَمَدَحَ المجتمعين من الرجال والنساء على ذلك الماء ولم يذكر من أمر هاتين المرأتين شيئاً.

ويا للعجب من هذا الزمان وأهله فلقد -والله- ذهبت الغيرة من الكثير من الرجال، يُطْلِقون لبناتهم ونسائهم عنانهن في السفر من غير محرم والاختلاط بالرجال الأجانب والغياب الأسابيع والشهور، وكل ذلك من أجل الأطماع الدنيوية.

اقتبسوا تلك الأخلاق من الحلقات التلفزيونية، والمقاطع في الجوالات الشيطانية، ومضوا في طريق المتهتكين سائرين، ينصح الناصح أحد الآباء فيجيب: الناس كلهم سائرون على هذه الطريقة، فصدق عليهم -والله- قولُ الله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المدثر].

ولأمر ما شدد الله وبالغ في التهديد في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

فيا معشر النساء احذرن غضب الله فأجسادكن لا تقوى على حريق النار دائماً وأبداً، والخلود في عذاب الله سرمداً، فغداً تلعن المرأة الغافلة عن ذكر الله زوجها وهو بتفريطه وإهماله يلعنها، ذلك حاصل ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝١٤ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الحديد]، نعوذ برحمته من غضبه وبعفوه من عقابه.

فالنعيم في جنات النعيم لا يتم لمكلف أو مكلفة إلا بتقوى الله والصبر على طاعة الله وبذل الجهد وتحمل المسئولية وعلى المسلمة أن تلقي بالها لحديث رسول الله ﷺ الذي تقشعر له الجلود وهو قوله ﷺ: ((حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره)) أو كما قال، وقال ﷺ: ((في آخر الزمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته فإن لم يكن زوجة فعلى يد أبويه، فإن لم يكن أبوان فعلى يد جيرانه)) قيل: ما شأن جيرانه يا رسول الله؟ قال: ((يعيرونه بنقص المعيشة حتى يلغ في الحرام)).

نعم، الكفار يبذلون أموالاً طائلة لإفساد الشباب والشابات في البلدان الإسلامية، يسعون في وضع الأسباب التي تدعو إلى الزنا وشرب الخمور واستعمال المخدرات والتخلق بأخلاق الكافرين والكافرات والتنفير عن هدي الله ورسوله بدعوى أن من يتمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية متخلف.

فيجب التنبه لهذا الغزو الفكري، فالمرأة المؤمنة زينتها الحشمة والحياء والالتزام بالقيم الدينية.

نعم، من الأسرار الربانية أن كل ما بالغت المرأة في التستر والحشمة فإن ذلك يكون سبباً في زيادة المحبة في قلب زوجها، وبعكس ذلك يحصل نقيض المحبة، فالله سبحانه هو العالم بمصالح العباد.

ومن أسباب قلة الحياء، كثرة المخالطة لغير أهل الدين، قال المصطفى ﷺ: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)).

ومن السموم القاتلة للدين جوالات اللمس التي أصبحت في متناول الشاب والشابة، تشاهد ما تتوق له نفسها في الجوال المتطور، وما نقص عليها من ذلك تزودها به زميلاتها المتهتكات، كل يوم يتناقلن خبراً جديداً لنوع من الدعارة والخلاعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وبه عائذون، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أن أحداً مات غيظاً مما يرى أو يسمع فإنه لا يلام على ذلك.

فهل بقي غِيرة لمن يترك بنته أو أخته تجوب الشوارع والأسواق، تصادق الخثالة من المجتمعات وأبوها وأمها جالسان في البيت لا يحركان من أجل ذلك ساكناً، هما معدودان في أموات الأحياء، ينتظران للفوائد الدنيوية كمن يرى السراب فيحسبه ماء.

فعليك أيتها المؤمنة التنبه لمثل هذه المفاسد، وعليك الاعتناء ببناتك وأولادك فهم درر ثمينة إن أنت أحسنت تربيتهم ولقنتيهم أخلاق الإسلام ونشأوا صالحين، ووثّقت علاقتهم بالله من خلال مدارس العلم ومخالطة الصالحين، فالسعادة -والله- والسرور وأسباب الحياة الطيبة لمن تمسك بدينه وأتى البيوت من أبوابها، وأمسى وأصبح من عذاب الله خائفاً، ولرحمته راجياً، نصبت الجنة والنار أمام عينيه، ينظر للجنة مرة وللنار أخرى، يفرح بالحسنة ويغتم من السيئة، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر.

نسأل الله العظيم بمنه ورحمته أن يصلح أولادنا وبناتنا ونساءنا، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الاعتناء بالأولاد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين

على الآباء والأمهات الاعتناء بالأولاد والبنات في الصغر فالأطفال كالأشجار إذا عُدِّلت تعدلت وإذا تركت اعوجت وصعب تعديلها، كثير من النساء تفرح وتمرح إذا رأت بناتها يتشبهن بالكافرات في ربط شعورهن كالأذناب وإبداء صدورهن وظهورهن وترك أيديهن عاريات ولبس السراويل والفنايل بدون الثياب، وإذا نصح الناصح ولاة أمورهن قال: أطفال ولا حرج في ذلك.

نعم، وكأني ببعض أهل المقرى يعترض ويقول: في هذا الكلام مبالغة؛ لأنه يشاهد ما تقدم ذكره في بناته حاصلاً ولا يستطيع تغيير ذلك لأنهن قد ولفن على ذلك وزوجته مصرة عليه كذلك، ولا أقصد بذلك الأطفال الصغار ولكن المقاربات للبلوغ، ومن أراد أن يعرف مصداق هذا الكلام فلينظر لذلك في الأعراس والأعياد.

وكذلك الأب يسعد إذا ملَّك ولده جوالاً مطوراً بدعوى أنه يخاف عليه أن ينخرط في عداد السفهاء ويمضي في طريقتهم، ولكن طريقته بداية الانخراط في طريق الخذلان والله المستعان.

فمن أراد السلامة لأولاده فعليه بالصبر على تربيتهم وتعليمهم معالم الدين وعلى الأم تشجيع بناتها والثناء عليهن إذا تحجبن وتجملن باللباس الساتر وعليها أن تصور في عقولهن أن التبرج من أخلاق الكافرات وأمثالهن من المتهتكات، وأنه لا زينة

للمسلمات مثل الحياء والتستر وتوصيهن بمجانبة قليلات الحياء اللاتي يتكلمن بما لا يرضى الله.

ولتعلم الأم أنها معانة على قدر همتها واعتنائها، وأن بنتها تمثلها صغيرة وكبيرة، فمدح البنت من المؤمنات مدح للأم، وصدق الله العظيم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].

نعم، الشيطان -لعنه الله- يلقن إخوانه جوابات على نصائح الناصحين مثلاً عندما يسمع بعضهم قولاً في الاختلاط وأنه لا يجوز ولا ينبغي فيقف الشيطان على لسان بعض من يسمع هذا الكلام -وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين أن الشيطان ينطق بألسنتهم- فيقول: لو ترك الناس المدارس والجامعات لما وجد طبيبات نساء ولا ممرضات، ونحو ذلك من الأعذار الباردة، فنقول له: المعني بهذه النصائح أهل الدين والتقوى وأهل الشيم والقيم، أما بقية الناس وهم الجم الغفير والعدد الكبير فلا يلقون لذلك بالاً؛ لأنهم يطلبون بذلك الدنيا الفانية وطلاب الدنيا لا يحتاجون إلى وعظ وتذكير من شأن الاهتمام بدنياهم، فهم عليها منكبون يبذلون لها جهدهم، من أجلها يرضون، ومن أجلها يغضبون، فلا تشغل نفسك من شأن طبيبات النساء والولادة والممرضات ففيها من يكفيها، ولكن عليك أن تنظر في عذرك البارد هل يكون لك حجة يوم القيامة ولمن يلقون ببناتهم في

الهاوية؟ أم لا؟ أعد الجواب ليومٍ لا ينفع الظالمين فيه معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

وبعض الناس إذا نصحه ناصح من شأن ابنته أو أخته قال: قد هي بعقلها، تخارِجْ نفسها، وتنتبه لأمرها؛ يدفع بهذه الكلمات نصيحة الناصحين، وهل هذا مبرر أمام قول الله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦].

فالقرآن خصم لدود لأعدائه وتكون هذه الآية يوم القيامة وصمة عار في وجه مَن خالفها، وما أردت –ورب المبنيات– إلا النصيحة لذوي العقول من الرجال والنساء والبنات المؤمنات، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[فعل السبب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربط الله الأسباب بمسبباتها قال تعالى لمريم الطاهرة: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم]، فعلى الأم أن تجعل لها ولبناتها أسباباً للمعيشة في بيتها من الخياطة والخوص وتربية الأغنام ونحو ذلك مما تستعين به المؤمنة على طاعة الله وسيجعل الله البركة في ذلك السبب، وإذا كان لها مال من مهر أو غير ذلك وكانت مشغولة فتنظر لها لشريكة من المؤمنات تربي بينهما غنماً أو بقرة أو بيعاً وشراء في ملابس النساء ونحو ذلك، وسيطرح الله البركة في ذلك إن شاء الله.

ومن أسباب الرزق المداومة على الاستغفار، ولبث من صلى الفجر في مصلاه حتى تطلع الشمس يذكر الله.

ومن أقوى أسباب الرزق صلة الأرحام، وكذلك التعفف عما في أيدي الناس، والصبر على الفقر؛ لأن الله يعلم السر وأخفى، وكل عمل يرضي الله سبب في الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق].

ومن أفضل الخصال الدينية الركون والتوكل على الله والالتجاء إليه في كل الأمور يقول النبي ﷺ: ((لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً)).

واعلمي -أيتها المؤمنة وكذلك طالبات العلم المخلصات- أن طلب العلم من أقوى أسباب الرزق وهو جامع لخير الدنيا والآخرة ولكن الله يعطي على مقتضى الحكمة بعض الناس من عباده الصالحين لو يعطيه الله وفرة من الرزق في بداية عمره لفتنه ذلك واشتغل به عن أمر دينه، وبعضهم يشكر الله على ذلك ويستعين به على طلب العلم وفعل الصالحات فالله أحكم الحاكمين وليعلم كل مسلم ومسلمة أنهم مأجورون على الشكر في الرخاء وعلى الصبر في الفاقة، وكذلك على الصحة والبلاء، فالصبر شيمة كل مؤمن ومؤمنة.

ونصيحتي لطالبة العلم الشريف أن تجد وتجتهد في طلب العلم وأن تكون قدوة لغيرها يضرب بها المثل في خلوص النية وصدق القول والصبر والرضا بما قسم الله من الأرزاق وعليها أن تكثر من تعداد النعم بلسانها وجَنَانها فذلك أدعى لحبها لله، قال رسول الله ﷺ: ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي)).

وعليها أن ترسخ الثقة بالله في قلبها قال المصطفى ﷺ: ((لن يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون أوثق بما عند الله مما في يده)).

ولتعلم كل مؤمنة من الأمهات والطالبات أن الدنيا عمرها قصير وشرها كبير، فكم خدعت من الرجال والنساء اغتروا بالشهوات فحصدوا الندم وسافروا إلى غير رجعة، هم اليوم في

قبورهم لنا عبرة وغداً نكون لمن يأتي بعدنا معتبراً.

فالسعيدة –والله– من النساء من قتلت الشهوات بذكر الموت والغربة في اللحود وترك الأهل والزوج والأولاد، السعيدة من كسبت خيراً من الصالحات تَقْدُمُ عليه يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء].

السعيدة من بنت لها القصور في جنات النعيم على جبال الحمد وعلى ضفاف الأنهار الجارية، ونصبت لها خيام الدُّرِّ بين المناظر البهية ووجوه الخدم المرضية، السعيدة من ينادى باسمها غداً بين الفائزين، آخذة كتابها بيمينها قائلة: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩﴾ [الحاقة]، حازت الملك في جنة الفردوس بإيمانها وعملها الصالح في هذه الدنيا الفانية سريعة الزوال وشيكة الانتقال، ترى الغافلات من الكافرات والمنافقات يوم القيامة وقد اسودت وجوههن، يسحبن في السلاسل والأغلال ويقذفن في نار وقودها الناس والحجارة.

فعليك –أيتها التقية– باغتنام بقية العمر، يقول النبي ﷺ: ((بقية العمر لا ثمن له)).

ولا تغتري بما في أيدي الغافلات من الحطام اللاتي ضيعن أيامهن في اللعب والشهوات، وفي متابعة الحلقات وعلى الجوالات، وافرحي بحسنة تقدميها فأنت عليها قادمة، وعلى ثوابها –إن شاء الله– حاصلة إذا لم تحبطيها بالمعاصي.

فالسعيدة من جعلت همها وشغلها الشاغل طاعة الله والتتبع لمرضاته. أسأل الله أن يصلح طالبات العلم من الأمهات والطالبات من البنات التقيات، وأن يزيدهن بركة، آمين رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[في تحمل الابتلاء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين:

اعلمي -أيتها المؤمنة- أن أولَ ما يتوجب عليك من الفرائض التي فرضها الله على كل مكلف ومكلفة معرفة توحيد الله وعدله كما سبق، ولا يتم لك ذلك إلا بالتعلم في مدارس العلم عند المعلمات وبعد ذلك يجب عليك حفظ ما أوجب الله قراءته من القرآن في الصلاة ثم معرفة ما يجب عليك من الطهارة وفروض الوضوء والتيمم والغسل من الحدث الأكبر.

وعليك دائماً أن تهتمي بالطهارة من جميع النجاسات وتربي أولادك وبناتك على ذلك، فالمؤمن لا يكون دائماً إلا طاهراً نظيفاً.

واعلمي أنه لا بد لكل مؤمن ومؤمنة من الابتلاء والاختبار، فالمرأة بليتها العظمى طاعة الزوج التي قلَّ مَنْ تفي بها من النساء، فإذا استطاعت بدينها وعقلها أن تجاهد نفسها في طاعة زوجها فقد نجحت نجاحاً كبيراً وعليها بالدعاء وقت راحة الزوج أن الله يثبتها ويعينها على طاعته وقت غضبه، وقد قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، وفي الحديث القدسي: ((اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة)).

وقد يبتلي الله المؤمنة باستثقال بعض أقارب الزوج فعليها بالصبر فالصبر عاقبته محمودة، والثواب الكثير والأجر الكبير فيما تستثقله النفوس قال تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا

﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء].

وإذا استطعت أن لا تعرفي أحداً غير زوجك وأولادك وأهل بيتك فافعلي، فذلك أسلم لدينك ودنياك، وأسلم لأولادك.

واحذري أذية الجار فقد أوصى به جبريل قال المصطفى ﷺ: ((لم يزل جبريل يوصي بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه)).

هذا، ومن أفضل ما تتخلق به المرأة المؤمنة خفة المؤنة فلا تكاد تطالب زوجها إلا نادراً وذلك في الضروريات فهي بهذه الخليقة تدخل الراحة والسرور على زوجها؛ لأن الاقتصاد وخفة المؤنة من شيم الصالحين والصالحات حتى أن بعض النساء تجعل لها حرفة كما سبق فتقوم بنفسها وتعين زوجها ببعض نفقة أسرته، وعليها أن تؤدب أولادها وبناتها بهذه الخليقة المرضية.

بعض النساء في شدة وعناء مع زوجها من شأن كثرة المطالب حتى إن بعض النساء تذهب إلى أهلها وتترك بيتها وأولادها وتشكو عليهم شكوى المضطر مما يسبب لخصام بين أهلها وزوجها ولا سيما إذا كان معها أخوات مزوجات مع أغنياء فهي تحس أنها مهضومة ومظلومة وأنها حقيرة في مجتمعها فيؤدي بها ذلك إلى تكليفه بما لا يطاق وإيذائه وإدخال الهم عليه والغم فهي بهذه الأخلاق لا تكبر لنعم الله عليها قدراً، ونسيت أن التحصن بالزواج من نعم الله البالغة عليها وعلى أمثالها، وأن بعض النساء

تريد الزواج ولو كانت مع أفقر الناس.

وكذلك نعمة المحبة بينها وبين زوجها فهو لها محب، بعض النساء تفقد المحبة من زوجها ولو كانت غنية فتود أن زوجها يحبها ويرحمها ولو كانت فقيرة، فقلبها مشغول في الليل والنهار متى يطلقها أو يتزوج عليها.

ومن تلك النعم نعمة العافية، فهي في عافية وغيرها في بلاء وأولادها كذلك وزوجها.

ومن أعظم وأجل وأكبر النعم الدينُ بأن يكون زوجها مؤمناً وهي كذلك، بعض النساء مزوجة مع زوج قليل الدين فلا يحثها على الدين والقراءة وحضور مجالس العلم عند المؤمنات بل يعينها على المعاصي من الطرب وغيره.

فمن رزقت بزوج مؤمن فلتحمد الله لأن بركته ودعاءه يلحقها، وعلى العاقلة التي لها من الله عناية وتوفيق أن تحدث نفسها دائماً بنعمة الله عليها مما هي فيه وتشكر الله على تلك الحالة من غنى أو فقر أو عافية أو بلاء، ما دام دينها معها فهي الرابحة، ولتذكر دقة الحساب يوم القيامة وأن الله يحاسب على مثقال الذرة، وأن الفائز من لقي الله خفيف المؤنة، قال أمير المؤمنين لولده عليه السلام: (وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤوداً الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ).

فالسعادة كلها في طاعة الله؛ لأن الأعمال الحسنة ثوابها أبدي، وجلب الحسنات في هذه الدنيا يورث السعادة في الجنة والنعيم السرمدي، فلا غيرة إلا من أصحاب الدين.

فعلى المؤمنة أن تسرح بعقلها في رياض الجنات، وتحقر هذه الدنيا بالنظر في عواقب الأمور وبالنظر في المقابر وفيمن قد وصل إليها من أجل أن تهون عليها بليتها، ورد أن الصبر على الفقر جهاد وأفضل من عبادة ستين سنة، فلا غيرة إلا من أهل الدين.

أهل الدنيا ماتوا وتركوا دنياهم، وأهل الدين ماتوا وقد تقدمتهم أعمالهم، فالسعيدة من عملت في دنياها لآخرتها، وصبرت على متاعب الدنيا قليلاً كي تستريح طويلاً، نسأل الله حسن الختام آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[التكاسل عن العلم والتعليم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين

يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر]، أراد باليقين هنا الموت، للأسف بعض البنات تتعلم في بعض مدارس العلم فتحصل على ثمرة من العلم كبيرة، يمكنها بتلك الثمرة التي حصلتها أن ترشد وتعلِّم كثيراً من الأمهات والبنات، فيتشوق لخطبتها كثير من الناس رغبة في دينها وما معها من العلم، فإذا تزوجت تكاسلت وتركت الإرشاد فلا تهتم بعد ذلك بتعليم ولا بتعلم، فهذه بلية ومصيبة.

فعلى البنت المؤمنة أن يكون همها وشغلها الشاغل المضي في طلب العلم وفي تعليم النساء والبنات، ويحق لها أن تشترط عندما يخطبها الخاطب أن لا يعترضها إذا سنحت لها فرصة التعليم والإرشاد في بلد الزوج، فإن تيسر لها ذلك فقد حصلت على ضالتها المنشودة وإن تعذر ذلك فمكسبها كبير بسبب نيتها، وفي الحديث: ((نية المؤمن خير من عمله)).

ولو لم يكن إلا البيت الذي تزوجت فيه تعلمهم معالم الدين لكان ذلك خيراً لها من التكاسل وإذا لم تهتم فسوف تفقد ما قد حصلته من المقرئ على مدى أيامها القادمة.

بعض من قد حصلت على مقرئ تطلب لنفسها المعاذير الباردة، بدعوى أنها وحيدة، وأنها مشغولة بالبيت، وغير ذلك من الأعذار، وعند ذلك يمتلئ قلبها شواغل بسبب التقصير

بخلاف التي تهتم بالتعليم والتعلم، فإن الله يبارك لها في عملها وفي الوقت وييسر لها تيسير الأسباب؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق].

فعلى من تزوجت ألا تتكاسل عن طلب العلم وتعليمه لمن تستحقه، فصلاح امرأة خير مما طلعت عليه الشمس، ويحق لكل امرأة تقية وبنت زكية أن لا تفرط في عمرها وتهدر ثروة أيامها في شهوات النفس الدنيوية وفي مجالس القيل والقال، وعلى كل أم وبنت أن تتبع أخبار وسيرة أمنا الرضية المرضية أفضل نساء سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ففي بداية أمرها ومقتبس عمرها وعنفوان شبابها اشتغلت في البيع والشراء فتيسر لها جمع المكاسب من الأموال، فلما تزوجت برسول الله ﷺ أنفقت جميع ذلك على ضعفاء ومساكين المسلمين حتى أفنت جميع ما في يديها ثم تحولت إلى نصر كبير لله ولرسوله، فكم من كرب كشفته عن قلب رسوله بعقلها الراجح وأخلاقها الزكية، فمنحها الله هدى إلى هداها حتى صارت جبلاً في الصبر راسياً وبحراً عميقاً في الحلم، وكان جبريل عليه السلام يبشر رسول الله ﷺ بما يعطيها الله، من ذلك وسام الفخر الذي نزل به على رسول الله ﷺ عندما قال: ((يا محمد إن السلام يقرئ خديجة السلام، وإن الله يبشر خديجة ببيت في الجنة من ذهب)) وغير ذلك مما خلد ذكرها عليها رحمة الله ورضوانه وتحيته وبركاته، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الثناء من المؤمنين ثواب عاجل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نعم، يدور الحديث في بعض المجالس بين جماعة حول النظافة وحسن المعيشة في بعض البيوت فيقول بعض الناس: لم نر طعاماً مثل طعام آل فلان، ولا قهوة مثل قهوتهم، ولا نظافة مثل نظافة بيتهم، فيشهد لهذا القائل بعض من حضر، وما سبب ذلك إلا أن في ذلك البيت درة ثمينة من الأمهات فترى أولادها وبناتها من الصغر سعداء بنظافتهم، وإذا دخلْتَ بيت من هي فيه فإنك تحس براحة نفسية، وإن كانوا فقراء، حبة الدجاج إذا طبختها يَسْتَرُّ بها من تناول تلك الوجبة ويجد لها ذوقاً أكثر بكثير من كبش في بعض البيوت؛ لأنها تركت الكسل والترفع عن تعلم الطباخة، تزرع كل يوم جديداً من التربية الحسنة والأخلاق الطيبة في بناتها، فلا تعرف واحدة منهن زواجاً إلا بعد الكمال مما يلزم على ربة كل أسرة فترى مَنْ تزوج بابنتها وجميع أسرته ينشرون آدابها وأخلاقها عند الصديق والعدو والقريب والبعيد، ومن سمع وصفها يجد من خلاله نقصاً في زوجته.

فعليك -أيتها المؤمنة- أن تتركي الكسل وكذلك اتركي الترفع عن طلب المعرفة فيما يصلح بيتك من إصلاح الطعام وغير ذلك، فالتواضع شيمة الصالحين والصالحات، ولا يجدد المحبة في قلب الزوج ويجعله يثق بتلك الزوجة إلا إذا رأى كل فترة جديداً من الخصال الجيدة والأخلاق المرضية؛ لأنها تبذل كل ما في

وسعها من أجل أن يكون عليها راضياً، ومن أجل تلك الأخلاق والبصيرة يزيدها الله تنويراً وبركة في أخلاقها وفي عملها، إذا أقبل أقارب الزوج فرحوا بوصولهم إليها وإذا ودعوها حزنوا لمفارقتها؛ فالثناء عليها من الصغير والكبير، والقريب والبعيد، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة:٤].

فعلى كل أم الاعتناء ببناتها وعلى كل بنت أن تحرص على كسب التربية الحسنة والأخلاق الطيبة حال كونها في بيت أبيها أولاً ثم بعد ذلك في بيت زوجها إن يسر الله لها زواجاً.

بعض الرجال يتزوج بزوجة ثانية لأجل جمالها ويدفع في ذلك الزواج مبالغ طالباً بذلك الزواج الراحة والسرور وإذا به يفاجأ بنقيض قصده وإن كانت جميلة فلا عيشة طيبة ولا أخلاق حسنة فيكون زواجه بها زيادة في حب واحترام الزوجة الأولى؛ لأجل ما فيها من الخصال والكمال.

نعم، إذا كان فيما خلق الله من المعادن ذهب وفضة ففي بني آدم كذلك رجال ونساء، بعض البنات تتزوج في بيت من البيوت بين أسرة كبيرة فيصلح الله بين تلك الأسرة ببركتها يسعد بها كبيرهم وصغيرهم، إذا خاطبت منهم رجلاً أو امرأة خجل كل واحد منهم عند سماع كلامها يعلمون أنها صادقة في كلامها، لا يستكبرون إذا وقع بينهم خصام بحضرتها؛ لأنهم يعلمون أن ذلك يحزنها من أجلهم ففي بداية أمرها تكون لكل واحد وواحدة بنتاً وبعد فترة تكون لهم أختاً، ولكثرة صبرها وإحسانها كبرت في أعينهم حتى

صارت أماً، صدق أصدق الصادقين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم].

تموت من هذه صفاتها ويحيا ذكرها، وتُغَيَّب بين التراب جثتها ويرقى بين الملائكة ذكرها، وإلى سماء الله روحها، وصدق الله العظيم المادح لسيد المرسلين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

عندما توفيت برة تقية من الأرحام كانت في بيتنا سراجاً وهاجاً من الصبر والحكمة وترك الفضول والكلام في الناس وفي بيت زوجها -رحمها الله- كذلك، أقسمت زوجة أخ زوجها إنها عاشرتها ثماني عشرة سنة أنها لم تسمع منها كلمة قاسية، وكان زوجها مختلاً عقلياً غير أنها بسبب هذه التقية ووجودها في غاية السرور ومنتهى الراحة، ولقد تعجبتُ عند موتها وفي عزائها من كثرة المعزين وعلى رأسهم السيد العلامة الحجة الحسين بن يحيى المطهر سلام الله على روحه الطاهرة، والسيد العلامة قائدنا وقدوتنا في الإرشاد محمد بن عبدالله عوض قالت إحدى النساء: ما أعلم بهذا العزاء إلا في العلماء، وعندما طلبتُ الفاتحة والإخلاص وآية الكرسي لها بحضرة العالم الرباني والأب الحنون سيدي حسين بن يحيى قال: «وياسين با نقراه».

اللهم حسن بقدرتك أخلاقنا وأصلح ظاهرنا وباطننا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الصبر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الخير الكثير فيما تكرهه النفوس من الطاعات وأولها وأولاها بالذكر الصبر؛ لأن الصبر يحتاج إليه الإنسان في جميع أحواله وأموره الدينية والدنيوية، يقول ربنا جلت عظمته: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى]، ويقول النبي ﷺ: ((الصبر من الإيمان بمنزلة الراس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له)).

المؤمنة محتاجة للصبر كحاجة الأشجار إلى الماء، والحيوان إلى الطعام، هي بحاجة ماسة للصبر على طاعة زوجها كما سبق، وطاعة والديها، وهي بحاجة أن تُصَبِّر نفسها على تربية أولادها، كذلك هي بحاجة التعلم لما ينقذها من عذاب الله الدائم، وإذا كان للمرأة بنت في عمر مبكر فعليها أن تعتني بها وتعلمها في مدارس العلم وتحثها على التعليم وتذكر لها فضل العلم والإرشاد وكم للمرشدات من الثواب عند الله سبحانه وتعالى.

بعض النساء يملأ الله قلبها نوراً وتوفيقاً وهداية، تذهب مع زوجها للإرشاد في أي بلد من البلدان فيصلح الله على يديها أهل تلك البلد من النساء وما تلبث إلا مدة من الزمن وقد تخرجن على يديها مرشدات يعلمن العلم ويزرعن الهداية في قلوب أشباههن، فإذا كانت الأم هي السبب في تعليم بنتها فهي مشاركة في ثوابها وفي ثواب كل من أصلحتهن تلك البنت؛ لأن الدال على الخير

كفاعله، فالعاقلة من النساء هي تفكر في عواقب الأمور وفي ما يصلح أحوالها في آخرتها.

وعلى المؤمنة أن تعلم أن الدنيا عمرها قصير وخطرها كبير، وأن الذين يغنمون الفرصة في هذه الحياة من النساء والرجال هم القليل قال أمير المؤمنين: (هم الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً).

نعم، الدعاة إلى دين الله يُذْكَرون بخير في سماء الله وأرضه، يذكرون بخير؛ لأن الله رفع ذكرهم بسبب نشرهم دينه وتعليمهم لما جاء به رسوله، وأي مديحة أعظم من مديحة الله قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

فالمرشدات يوثِّقن العلاقة بين الطالبات وبين الله سبحانه وتعالى، الطالبات بسبب المرشدة يقرأن القرآن ويذكرن الله وهي مشاركة في أعمالهن من البر ولا يمكن أن تحصل المرشدة على ذلك إلا بعد الجهد والتعب والمواصلة؛ لأن الإرشاد سبب في كل خير من الصلاة المقبولة والصيام المقبول وبر الوالدين وصلة الأرحام وترك الكثير من العصيان وهو الوسيلة لدخول الجنة.

كم من أناس رجال ونساء كانوا يبغضون أهل بيت رسول الله ﷺ ولما وصل الإرشاد إلى ديارهم تحول البغض إلى محبة والعداوة إلى ولاء، فلله الحمد على نعمه البالغة وأياديه السابغة.

فما على المؤمنة إلا الاهتمام بالتعلم وترك الكسل ولتعلم أن

ساعات الأيام الباقية من عمرها أغلى -والله- من الفضة والذهب يقول النبي ﷺ: ((بقية العمر لا ثمن له)).

نعم، لقد ذكر الله في القرآن قصة ظريفة وهي أن مريم البتول الطاهرة أم النبي عيسى عليه السلام وعظت نبياً من أنبياء الله وهو زكريا عليه السلام الذي كان عديم الولد، وذلك عندما دخل عليها وبين يديها خضر وفواكه ولم يكن ذلك الحين وقته فتعجب قائلاً عليه السلام: ﴿يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ فأجابت عليه: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران]، فذكرته بوعظها فدعا ربه أن يرزقه ولداً، وقد كانت امرأته عاقراً وهو في سن الكبر؛ فرزقه الله بيحيى بن زكريا عليهما السلام ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد].

وكذلك قصة بلقيس الملكة عندما جنَّبت أهل مملكتها من غزو نبي الله سليمان عليه السلام قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٣٤﴾ [النمل]، ولما وصلت إلى نبي الله سليمان ورأت ما بهر عقلها أسلمت مع نبي الله سليمان عليه السلام، وهذا دليل واضح على نعمة الله العظيمة بالعقل إذا استعمله صاحبه في طاعة الله فإنه يرقى بصاحبه إلى الدرجات الرفيعة.

فعلى المؤمنة التقية من الأمهات والبنات أن يسعدن بالعلم يسعدن بتعلمه وتعليمه وأن يساهمن في حياة القلوب الميتة وفي

إصلاح المجتمع؛ لكي يذكرن بخير في الدنيا والآخرة، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة]، وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

[التعاون على البر والتقوى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أخلاق المؤمنين والمؤمنات التعاون على البر والتقوى امتثالاً لأمر الله -تقدست أسماؤه- قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

لما كانت الدنيا دار تكليف وابتلاء والآخرة دار نعيم للمؤمنين وجزاء جعل الله بلوى الدنيا سبباً في ثواب الآخرة لمن آثر رضا الله على معصيته وكظم الغيظ وعفا عن الناس وعالج الأمور بعقله.

نعم، بعض النساء يمنحها الله عقلاً كبيراً وتوفيقاً وتسديداً وبصيرة بالأمور ولا سيما في معالجة القضايا العائلية فتكون مفتاحاً للسداد بين زوجها وأرحامه وبين أولادها وزوجاتهم وبناتها وأزواجهن، وبعض النساء تكون -والعياذ بالله- سبباً في قطع العلاقة الزوجية بين ولدها وزوجته أو بنتها وزوجها أو قطع الرحامية بين زوجها وأرحامه إما لعدم البصيرة والجهل والحماقة، أو لقلة الدين.

وكذلك بعض الرجال يزوج ولده ويوماً من الأيام يأمر ولده بطلاق زوجته أو يزوج بنته ويغضب لها مما يؤدي إلى طلاقها.

فينبغي لكل أمٍّ أن تجعل من نفسها أماً لبنتها وزوجها وكذلك لولدها وزوجته، لا سيما إذا علمت أنهما متراحمان [متحابان] فلا تطري لهما طلاقاً ولا فراقاً وتنصحهما أن الصبر من شيم الخَيِّرين أهل التقوى واليقين وتراجع زوجها إذا غضب فهي أملك لقلبه

من بقية المخلوقين وتراعي ظروف زوج بنتها لا سيما إذا كان الخلاف بينها وبين أهله ولو أدى ذلك إلى بقائها عندهم مدة طويلة، وتنصح ابنتها بالصبر ، وما ظفر إلا من صبر ، وعاقبة الصبر محمودة.

وعليها أن تنصح ابنتها بالصبر على أرحام الزوج لا سيما والديه، فالدعوة من الوالدين بركة للولد ولزوجته وللذرية، وتنصح زوجها أن لا يتسرع في قطع العلاقة الزوجية بين ولده وزوجته أو بنته وزوجها يقول المصطفى ﷺ: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه)) و((في التأني السلامة وفي العجلة الندامة))، اللهم حسن أخلاقنا في طاعتك واجمع شمل المؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين.

نعم، على الرجل والمرأة التأني في الأمور، عليهم التأني في زواج ولدهما وبنتهما، وينبغي أن يفعلا بعض الأسباب الموافقة للشريعة السمحة، من ذلك الدعاء والدرس ولو يسيراً من كتاب الله والصدقة إذا كانا موسرين، والسؤال عن الولد الخاطب: عن دينه وعن أخلاقه وصحته وعقله، وكذلك من يريدان خطبتها لولدهما ينبغي أن يعلما بحالها أو يسألا من يعلم بأحوالها، ففي التأني السلامة وفي العجلة الندامة؛ لأنه يترتب على عدم التأني والسؤال في بعض الحالات ما لا يحمد عقباه، من ذلك خسارة نفقة الزواج، ومن ذلك أن بعض المزوجات تصادف في مبتلى

بمرض أعصاب أو في قليل دين أو في أحمق يتزوجها وينجبان أولاداً وبعد فترة يطلقها مما يؤدي إلى نشبتها بأولادها وبقاءها بدون زواج في بيت والديها، وهذا كله قبل الزواج.

أما بعده فعلى الأم العاقلة التقية، وكذلك الرجل المؤمن أن يجعلا من أنفسهما لبنتهما وزوجها وولدهما وزوجته أبوين رحيمين في حالة راحة الزوجين أو غمهما وفي حالة وفاقهما أو خلافهما، ولو رأيا الخطأ عياناً إذا أرادا التوفيق من الله والإعانة والسياسة الناجحة والبصيرة، ينبغي أن يكون الوالدان في هذا الشأن بمثابة الداعي إلى الله البصير بجذب القلوب.

بعض الحالات يغضب الرجل على زوجته ويصرُّ على خروجها من بيته والذهاب إلى بيت والديها، غير أنه سرعان ما يتراجع إذا أصر والده أو والدته على بقائها وترك الذهاب إلى والديها وكم لفاعل ذلك من الأجر الكبير؛ لأنه يحصل على ثواب المصلحين، وكذلك بنتهما إذا جاءت غاضبة فلا يغضبان لغضبها ويتعصبان من أجلها، فإذا هدأ غضبها ولو بعد أيام ذكرا لها نعمة الله عليها بالزواج وكم لها من الأجر إذا صبرت وأن الرجل يتحمل متاعب كثيرة داخل البيت وخارجه، وأن الرحمةوالمحبة والراحة لا تدوم إلا بالصبر على الأذى والتحمل لغضب الزوج وترك المطالب في حال غضبه ولو كانت ضرورية، وهذه الأخلاق هي أخلاق الخيِّرين الذين عناهم الله وحكى عنهم

بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان]، زادنا الله بصائر في حق أولادنا وبناتنا وأهلينا إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[بلوى خاصة بالنساء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي دلنا على الخير، وحذرنا من الشر، رحمة منه لعباده، وحجة على خلقه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]، هذا التكليف والابتلاء عام لجميع المكلفين من زمن أبينا آدم عليه السلام إلى يوم الدين، ومن التكاليف الكبار ما ابتلى الله النساء به إباحتُه سبحانه وتعالى للرجال أن يتزوجوا من النساء مثنى وثلاث ورباع، ولا تصبر على هذا التكليف من المؤمنات إلا صاحبة حظ عظيم، يُعَرِّف الله الملائكة بصبرها فتكون عندهم معروفة، وفي نساء رسول الله ﷺ عبرة عندما حكى الله قصة بعضهن وقد تحاملن على رسول الله ﷺ بسبب الغيرة من بعض الزوجات، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم].

بعض النساء تكون معروفة في مجتمعها بالصلاح والهداية والصبر والذكر الحسن عند القريب والبعيد، والصغير والكبير، فإذا تزوج عليها زوجها تنكرت له وخرجت من الأوصاف الحميدة والآراء السديدة؛ طاعة منها للشيطان، وإغضاباً للرحمن، ونسيت أو تناست أن ذلك الزواج بإباحة الله ابتلاءً منه عز وجل وتمحيصاً لها ولزوجها هل يعدل الزوج؟ وهل تصبر الزوجة؟

نعم، الدين والثبات على اليقين هو أعظم حل لهذه المشكلة التي تقع على بعض النساء عليها أن تعلم:

١-أولاً وبالذات: أن الله الذي أحل هذا الزواج، فإذا تحاملت على زوجها بالعتاب والأذى فإنها لم ترض بحكم الله وتشريعه.

٢-عليها أن تفكر في عواقب الأمور وأين يكون المصير، وهل ترضى أن تموت مغضبة لزوجها أم يكون عليها راضياً.

٣-أن تعتقد بقلبها أن الله الذي يضع المحبة والكره وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴿٩٦﴾﴾ [مريم]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق].

٤-عليها أن تتلطف لزوجها وتظهر له أنها راضية من أجله، وأنها سعيدة برضاه، فذلك أدعى لحبه ورحمته لها، فالقلوب جبلت على حب من أحسن إليها قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

نعم، العقل والدين هو الميزان في هذه الحياة قليلة البقاء، طويلة العناء، فبالعقل والدين يتجاوز المكلف كل الصعوبات التي تواجهه.

ومما يلحق بمشكلة الطبان كما في عرف أهل بلائدنا أولاد وبنات الزوج على امرأة مطلقة فإنهم يكونون بلوى على المرأة الأخيرة، بعض النساء لقلة دينها وخفة عقلها تغار من سابقتها المطلقة أو المتوفاة فهي دائماً تؤذي زوجها وتظلم أولاده أو بناته وتكرههم لأنهم أولاد امرأة قد تزوج بها والدهم، والشيطان بكيده يقوي عزائمها ويبرر لها ذلك الظلم؛ أنهم شغلوها، وأنهم غير مؤدبين، وأحياناً تغري بهم والدهم، وربما تفتري عليهم الكذب.

فمن ابتليت بشيء من ذلك فلتتق الله فإنه يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما يلحق بهذه المصيبة على بعض النساء أن يكون زوجها محباً لها وله زوجة أخرى لا يرحمها فتستخف بها وتتكبر عليها وربما تغري زوجها بها كذلك، وتذكر له هفواتها ومثالبها فيزداد حنقاً وغضباً على تلك المسكينة وتكون المحبوبة هي السبب في كل ذلك الظلم، وكما أن الدال على الخير كفاعله كذلك الشر الدال عليه كفاعله. فالحذر الحذر يا معشر النساء إن كنتن تردن رضا الله والجنة.

وعلى المرأة إذا تزوجت أن تكون دخيلة خير بعقلها ودينها، وأن تكون صاحبة سداد مع أم الزوج ومع أخواته وزوجات إخوانه، ولا يتم لها ذلك إلا إذا جاهدت نفسها واتهمتها بالتقصير،وحسبت للجنة والنار حسابهما، عليها أن تتصف بصفة يرضاها الله ورسوله والمؤمنون وتعيش معها سعيدة وهذه الصفة

أنها إذا غابت عنهم فقدوها وإذا حضرت سرتهم واحترموها، ومن دبت ودرجت في طلب الجنة فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وصلوات الله على صاحب الأخلاق الفاضلة وعلى أهل بيته الطاهرين.

[التواضع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من مصائد الشرف التواضع والأخلاق الحسنة وتعظيم الآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

فعلى المؤمنة أن تجعل التواضع حليفاً لقلبها وأن لا تكبِّر لنفسها قدراً وتذكر نعمة الله عليها بالعافية والستر، فذلك أدعى إلى الشكر وإلى حب الله سبحانه وتعالى، وتنظر إلى المتواضعات من المؤمنات اللاتي يثني عليهن القريب والبعيد وتزداد محبتهن في قلوب مجتمعاتهن، ما أربح تجارتهن عند الموت حين يثني على المتوفاة منهن القريب والبعيد، ويذكرن بخير ذكر.

المتواضعة يجعل الله في أقوالها السداد، وفي نصائحها الرشاد، المتواضعة قلبها وعاء للحكمة؛ لأن قلوب المتواضعين كالأرض الخصبة، وقلوب المترفعين كالصفا، المتواضعة تكون خفيفة المؤنة، تكون سعيدة بما هي فيه من المعيشة، وعليها أن تجاهد نفسها مع التواضع على حسن الخلق واحترام الآخرين، عليها أن تجعل الكبيرة من النساء أماً والصغيرة بنتاً، والسنيعة أختاً؛ فإذا وفقها الله لهذه الصفات الإيمانية فلتحذر الرياء والسمعة والعجب، فإن الشيطان -لعنه الله- حريص على إحباط أعمال الإنسان، وتذكر ستر الله عليها وتشغل نفسها بعيوبها وبذكر الموت وما وراءه، وعليها بإدخال السرور على المؤمنات بإظهار

الرحمة والدعاء لهن بالخير والبركة.

تأملي -أيتها المؤمنة- ما قال ربنا في محكم كتابه -تقدست أسماؤه-: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم].

وعلى المؤمنة أن تطلب الخصال الإيمانية من أقدر القادرين الذي قال عز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، تدعو ربها وتبتهل إليه قائلة: اللهم ارزقني التواضع الذي يرضيك، وحسن أخلاقي في طاعتك، وعرفني قدر نفسي، وجنب أعمالي من المحبطات يا أرحم الراحمين، وغير ذلك من الأدعية.

اللهم حسن أخلاقنا وارزقنا الإخلاص والتواضع واشغلنا بعيوبنا عن عيوب عبادك يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[بعض الخلائق المحمودة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)).

نعم، تختلف النوايا والأهداف والأغراض غير أن هناك خلائق مكاسبها هي المكاسب، يرفع الله أصحابها في الدنيا والآخرة بشرط الإيمان، ويرفعهم الله في الدنيا فقط مع فقد الإيمان، من تلك الخلائق الصدق، وأين بلغ بأبي ذر الغفاري رضي الله عنه يقول في شأنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أضلت الخضراء وأقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر)) أراد صلى الله عليه وآله وسلم بالخضراء السماء وبالغبراء الأرض، كان له ثقله في المجتمع الإسلامي عند الخلاصة وكان له الحظ الأوفر من المكانة في قلب خير البشرية ووصيه أمير المؤمنين وبقية الزبدة من أصحاب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجنات النعيم، فهنيئاً لأبي ذر بوفائه وصدقه،ورحمه الله رحمة الأبرار، وألحقنا به صالحين.

ومن تلك الخلائق اليقين أين بلغ بعمار ثباته رحمه الله قال في شأنه أمير المؤمنين: (من لم يحزن على عمار –وذلك حين قتل– إنه لمغبون في دينه) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((عمار جلدة بين أنفي وعيني)) أو كما قال.

ومن تلك الخلائق بل هي من أفضل الخلائق وإن قُلْتُ: هي أفضل الخلائق فلا حرج، ألا وهي الرحمة؛ فإن القلوب التي تحلها الرحمة تشبه الأرض الممطورة في أيام الربيع، والجنان المثمرة في أيام الخريف، والهواء البارد في أيام الصيف، والعسل المصفى من بين سائر الحلويات، وأين بلغت بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها الرحمة، وأين أوصلها اليقين؟ فبرحمتها زُرِعَت الزهراء سيدة نساء العالمين في بطنها تغذت من دمها، شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ثمرتها أئمة الهدى ومصابيح الظلام، حجج الله في كل زمان إلى يوم الزحام، أما اليقين فبلغ بها في بداية أمرها أن صارت فراشاً لسيد الأنبياء والمرسلين، وفي نهاية أمرها أن جبريل الأمين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن السلام يقرئ خديجة السلام)).

انظري يا طالبة النجاة من النساء المؤمنات، ويا طالبة العزة من وجهها من الطالبات التقيات كيف كانت نتيجة مرضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك من أولته اهتمامها في طفولته وهي السيدة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأخ سيد المرسلين فلقد كفنها في برده صلى الله عليه وآله وسلم واضطجع في قبرها ليوسع عليها؛ رداً منه للجميل واعترافاً منه بالإحسان، وأخبر أنها كانت توليه اهتماماً أكثر من أولادها، ولأمرٍ ما رزقت بحمل سيد الوصيين عليها رحمة الله ورضوانه.

ولقد وقَفْتُ على قبر السيدة حليمة السعدية رضوان الله عليها في البقيع مع مجموعة من الإخوان وقد عمت مشاعري الدهشة من الفضل الذي حازته، فعندما قربت من قبرها قلت: صدق الله العظيم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

وُفِّقَت أن تكون بسبب الرحمة أماً لخير البشرية فكم لصق لحمه بلحمها، وكم تغذى بلبنها، وكم نام هادئاً بعنايتها، وهل يضيع الجميل رسول الله ﷺ، فبسبب الرحمة ملأ ذكرها كتب علماء المسلمين، فالترضية عليها من عهد رسول الله ﷺ عمت مشارق الأرض ومغاربها، وزوارها يفدون إلى قبرها كذلك من جميع أنحاء العالم، فهي حقيقة أن يقول مَنْ ذكرها أو وقف على قبرها: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

فعليك أيتها المؤمنة بالصدق ورسخي اليقين في قلبك بما وعد الله المتقين، وعليك برحمة والديك وزوجك إن كنت من ذوات الأزواج، ارحمي المساكين والضعفاء، ارحمي أهل الفقر والمسكنة وأهل البلاء، عودي نفسك الرحمة وابتعدي عن صاحبات القلوب القاسية المغرورات المفتونات فإن قاسي القلب من الله بعيد، ولا يتم لامرأة الصدق واليقين والرحمة إلا بالصبر، فالصبر مفتاح لكل خير ومغلاق لكل شر.

أسأل الله أن يوفقنا وأن يوفق النساء المؤمنات وطالبات العلم والمرشدات إلى خير الدارين إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، آمين.

[صلة الأرحام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين:

الحمد لله رب العالمين الذي أجزل عطاءه للصابرين وأثنى غاية الثناء على الكاظمين للغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، من عظيم الابتلاء وكبير الاختبار تكليف الله لعباده بمراعاة حقوق الأرحام من التواصل والتباذل وأداء الحقوق من المواريث والصبر على جفوة بعضهم وغير ذلك، وهذه الأمور حقيقة بأن يلقي لها كل مكلف باله وأن تخشع من خوف عواقبها رقبته فالمسؤولية بهذا التكليف شاملة للذكر والأنثى ولا يوفق لسلامة دينه من مصائب الرحامية إلا ذو حظ عظيم.

نعم، أسباب النجاة متفاوتة وأعظمها في هذا الشأن الإحسان يقول ربنا -جلت عظمته-: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن]، فمن أراد السلام من هذا الداء الشامل والسم القاتل فليحسن إلى أرحامه بالعطاء والإنفاق مما آتاه الله والزيارة وحسن الخلق والتعطف والتلطف والدعاء وطلب الإعانة من مالك القلوب وهذا هو الإحسان الذي وعد الله عليه عباده بالإحسان وإذا كان الكثير من الرجال يتغافلون عن أداء المواريث حباً منهم للدنيا الفانية، وطمعاً في ما يشبه سموم الحيّات القاتلة وتغافلاً منهم عن خير الدنيا والآخرة فأنا أنصح النساء المؤمنات صاحبات العقول الزكية والأخلاق المرضية أن

لا يبخلن على أنفسهن بدفع السيئة بالتي هي أحسن فبالتغاضي عن الحقوق تكون المؤمنة مرضية لخالقها وصولة للرحم معينة لقراباتها على الطاعة فهي بتلك الخلائق لله مرضية تجلب بنواياها الحسنة من الله كل خير وتدفع بإحسانها ذلك الكثير من الشرور، ولقائل يقول: يا سبحان الله الرجال يأخذون حقوق النساء ويمنعون المواريث وهذا الكلام يفيد أن المسكينة المظلومة تتنازل عن حقوقها وتكظم غيظها؛ كي تسعى بجهدها هذا لإنقاذ من ظلمها وأصر على أخذ حقوقها، قلت: لا شك في ذلك وأن الأمر كذلك ولنا بالأنبياء ﷺ أسوة حسنة، هذا حبيب الله المصطفى ﷺ هُضِم وظُلِم وطُرِد وشُرِّد كيف كان فعله بقرابته وأرحامه عندما فتح الله عليه مكة وقد مكنه الله من رقابهم واقتلاع جرثومتهم فعفا عنهم وصفح وخاطبهم قائلاً: ((ما تظنون أني فاعل بكم؟)) قالوا: خيراً أخ وابن أخ كريم، قال: ((فاذهبوا فأنتم الطلقاء)) أو كما قال ﷺ.

وأين كانت عاقبة نبي الله يوسف بن يعقوب ﷺ بسبب صبره وعفوه وحلمه عن إخوانه، فلولا أنهم تابوا وبين الله ذلك في القرآن لنَقِمَ عليهم كل من قرأ قصتهم.

فالصابرة من النساء المتغاضية لها بالأنبياء أسوة وهي ممن أعانت على طاعة الله وسوف يرزقها الله في دنياها ويجزل لها العطاء في آخرتها وهذا عين البرِّ، والتعاون على البر والتقوى أن

تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

ولا تكون الدنيا رخيصة إلا عند الخاصة من المؤمنين والمؤمنات من عرفوا الدنيا أنها جيفة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، وبالتغاضي والصبر والسماحة من المؤمنات عن أرحامهن هن مرضيات لله عز وجل مرضيات لوالديهن محمودات في سماء الله بين ملائكته وفي أرضه بين عباده، وهل فاز بالجنة إلا أهل الصبر والسماحة.

انظري أيتها المؤمنة، وفكري بعقلك لو أن امرأة لها ميراث يفوق الملايين عند إخوانها وهي بحاجة هي وأولادها ويعلم بذلك القاصي والداني من أهل بلائدها غير أنها علمت أن نفوسهم على ذلك الميراث شحيحة وأنها لو تقاضت مالها من الميراث عندهم لقطعوا زيارتها وضيفتها وتجرموا عليها صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فعزمت بعد ذلك على العفو عنهم ومسامحتهم فيما عندهم احتساباً منها للثواب من الله ومحافظة على صلاح ذات البين وصلة للرحم هل تكون بهذه الطريقة مذمومة عند أحد من خلق الله؟ أم تكون محمودة عند أهل سماء الله وأهل أرضه؟ معينة لأهلها أو لبعضهم على العودة إلى الصواب والتوبة والرجوع عن غيهم وتعنتهم، بل هي –والله– محسنة غاية الإحسان ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

نعم، الإبراء والسماح للأقارب من المواريث والحقوق ليس بواجب بل هو تفضل وتكرم وصدقة وصلة والله سبحانه هو الذي يجازي كل محسن على إحسانه، والذي أريد أن أنبه عليه في هذا الموضوع ومن أجله كتبت هذه الأسطر، أن بعض الناس يحسنون إلى أرحامهم من العمات والأخوات وغيرهم وإذا عرضوا على إحداهن شيئاً من الميراث رفضت ذلك وأبرتهم وسامحتهم من صميم قلبها فيما عندهم غير أنهم لا يقتنعون بذلك الإبراء والسماح وقلوبهم خائفة من ورثتها ولو بعد حين.

وأنا أنصح كل مؤمنة تقية إذا كانت مسامحتها وإبراءها لإخوانها وأولادهم صادرة عن قناعة ويقين واحتساب لما وعد الله المحسنين أن تكمل ذلك الإحسان والبر والصلة بأن تكتب لهم ورقة في كل ما تريد أن تسامحهم فيه قل ذلك أو كثر، وتُشهد على ذلك شهوداً عدولاً، وتسلم تلك الورقة لأقاربها وأرحامها، فهذا الصنيع أكمل للأجر وأبلغ في الإحسان وأوثق للعلاقة والرحامية بينها وبين قرابتها وكل ما أبرتهم وسامحتهم فيه من الأموال التي تزرع وكذلك البيوت فهي لها صدقة جارية بعد موتها وفي حياتها.

وأنا أنصح إخواني المؤمنين -وكان الواجب نصيحتهم قبل المؤمنات- أن يتقوا الله في أرحامهم وأن يصلوهم ويبروهم وأن يرغموا أنفسهم بالعطاء من الأموال المرة بعد المرة والوقت بعد

الوقت إذا أرادوا خير الدنيا والآخرة وأرادوا المخرج من هلكة المواريث وحقوق الأرحام؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، وسيجعل الله لهم وداً في قلوب الأرحام قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم].

هذا، وليعلم كل مكلف أن الله سبحانه وتعالى تولى قسمة المواريث في كتابه ولم يكل تفصيلها إلى نبيه ﷺ لعظم شأنها، وهدد بالنار من تعدى حدوده فيها وأن الممتنع من تسليمها بعد المطالبة يسمى غاصباً وظالماً وقد لعن الله الظالمين في كتابه قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر].

وقد حذر الله كل أب وكل ولد أن لا يغتر أحد منهم بحلم الله في هذه الدنيا وأن الحسرة سوف تبلغ يوم القيامة منتهاها قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٣٣﴾ [لقمان].

وعليك -أيتها المؤمنة- أن تظفري بخير الدنيا والآخرة، عليك إن أردتِ من الله التوفيق والسداد وصلاح الذرية وبرهم أن تحثِّي زوجك وأولادك بصلة أرحامهم والإحسان إلى أقربائهم فالرجل يقبل من زوجته النصيحة وكذلك أولادها فتكون بتلك

النصائح دالة على الخير، والدال على الخير كفاعله.

بعض النساء مزوجة مع رجل معسر ولها أولاد كذلك فإذا أراد أحدهم الزواج أو حصل لهم مرض فعلى من عنده لها ميراث أن يعينها بجهده وعلى زوجته أن تحثه وتنبهه إذا كان غافلاً أن يتعاون مع عمته أو أخته بكل جهد؛ لأنه قابض لحقوقها ولو لم يكن قابضاً لحقوقها فعليه أن يتعاون معها بجهده؛ لأنها رحم مسكينة وقد ضمن الله الخلف وطول العمر لواصل رحمه.

اللهم أعنا على بر والدينا وصلة أرحامنا والإحسان إلى جيراننا وارزقنا رحمة الضعفاء والمساكين وسهل على أيدينا قضاء حوائج المؤمنين يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أنبياء الله وعلى نبينا محمد وعلى آله الطاهرين، وبعد:

إني أتوجه في هذه الرسالة بالشكر والاحترام والتقدير الكبير لكل مرشدة ساهمت في نشر دين الله؛ لأنها بإرشادها أدخلت السرور على نبينا محمد ﷺ وعلى جميع العلماء العاملين، وأتوجه بالشكر ثانية لوالدي وأقارب كل مرشدة؛ لأنهم ساهموا بتعليم بنتهم أو أختهم في نشر هذا الدين الذي خلقنا الله من أجله، وأطلب من جميع طالبات العلم وكذلك الأمهات المسلمات أن يعرفن قدر المرشدات وأن يشكرن هذه النعمة؛ لأنها السبب القوي في معرفة الله والعلم بما جاء به نبي الله ﷺ.

فهنيئاً للمرشدة المخلصة المتواضعة بما تحوزه من الفضل والإرضاء لله بإرشادها فعليها بالصبر، فالصبر مفتاح الفلاح وعليها بالرفق واللين والتيسير، قال المصطفى ﷺ: ((يَسِّروا ولا تُعسِّروا)).

هذا، وأشكر القائمين على الإرشاد وعلى رأسهم عالمنا وقائدنا وقدوتنا العالم الكبير، والبحر الغزير، فضيلة العلامة السيد محمد بن عبدالله عوض حفظه الله، وأشكر كل الدعاة إلى الله من الإخوان الذين بذلوا رخيصهم والغالي لإحياء دين الله، وأسأل الله العلي العظيم أن يجزي الأخ الفاضل الداعي إلى الله على بصيرة فضيلة العلامة علي مسعود خير الجزاء الذي بذل

جهده وتحمل المشاق في إصلاح المجتمع وأفلح وأنجح، وأسأل الله العظيم أن يقوي العزائم في قلوب طالبات العلم والأمهات على طلب العلم والاستماع والحضور في مجالس الذكر إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين آمين رب العالمين.

الفهرس

نصائح عامة ١
مقدمة ٤
[الكون مع الصادقين] ٧
[تعظيم شعائر الله] ١٨
[خشية الله] ٢١
[بر الوالدين] ٢٤
[الرضا بحكم الله] ٢٧
[التحذير من الدنيا] ٢٩
[الرزق] ٣١
[الحاجة إلى الدعاء] ٣٣
[بقية العمر لا ثمن له] ٤٠
[التوبة] ٤٢
[الوصية بالنساء] ٤٥
[في التعاون على البر والتقوى] ٤٨
[الاستغفار] ٥١
[قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] ٥٤

[طمأنينة القلب] ٥٧
[الحث على اغتنام شهر رمضان] ٦٠
[بعض محاسن الأخلاق] ٦٣
[التواضع والحب لأولياء الله].....٦٦
[معرفة نعم الله وأداء شكرها] ٦٩
[في رحمة الله بعباده] ٧٥
في فضل شهر رمضان ٧٨
رسالة للنساء هامة.....١٠١
مقدمة.....١٠٢
[في البحث عن أسباب النجاة].....١٠٣
[في معرفة الله والتفكر] ١٠٧
[في الحث على الصلاة].....١١٢
[في الحشمة وغض البصر].....١١٧
[الاعتناء بالأولاد] ١٢٥
[فعل السبب] ١٢٨
[في تحمل الابتلاء].....١٣٢

[التكاسل عن العلم والتعليم] ١٣٦
الثناء من المؤمنين ثواب عاجل ١٣٨
[الصبر] ١٤١
[التعاون على البر والتقوى] ١٤٥
[بلوى خاصة بالنساء] ١٤٩
[التواضع] ١٥٣
[بعض الخلائق المحمودة] ١٥٥
[صلة الأرحام] ١٥٩
خاتمة ١٦٥
الفهرس ١٦٧